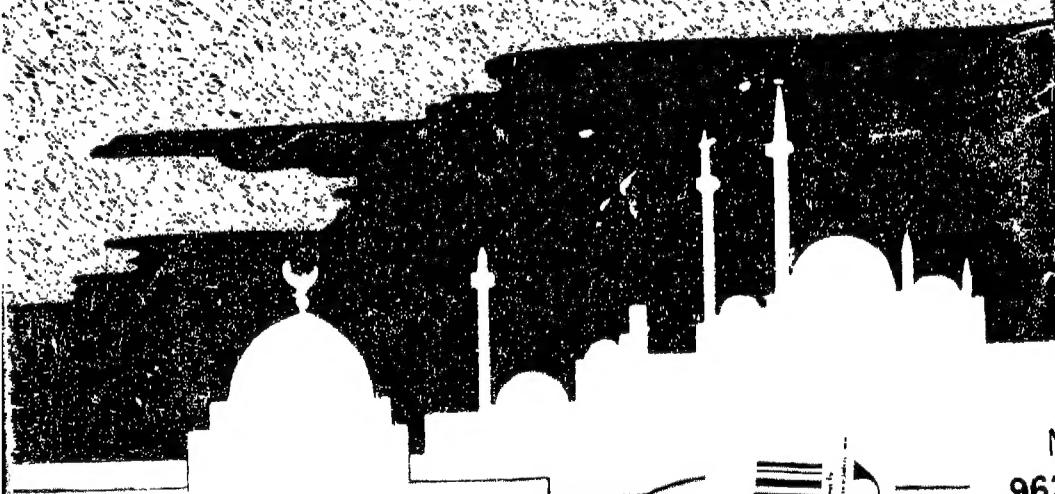


Handwritten signature or text in Arabic script.



N  
962

# فئة النورة

0198163



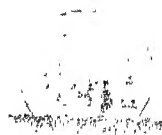
Bibliotheca Alexandrina



١١١

جمال عبد الناصر

الأستاذ الدكتور  
محمد فوزي  
نقيب كتلة الطلبة  
الاسكندرية



Union - Foundation of the Alexandria Library - (FOAL)  
The Alexandria Library - (FOAL)

فلسفة الثورة

١٢٧٥٨ / ٥



## الجزء الأول

ليست فلسفة - محاولات لم تتم - ليست مجرد تمرد - كنا في فلسطين  
واحلامنا في مصر - احمد عبد الميزيل قبل أن يموت - درس من اسرائيل -  
أيام التلمذة - الحثيفة والفراغ - لماذا كان لابد أن يتحرك الجيش -  
الصورة الكاملة - الطليعة والجموع - أقصى أمانى - نموذج من أعضاء مجلس  
الثورة - ازمتات نفسية - ثورتان في وقت واحد - لكيلا يقع تصادم على الطريق.



قبل أن أمضى في هذا الحديث أريد أن أقف قليلاً عند كلمة « فلسفة » ..

ان الكلمة ضخمة وكبيرة ..

وأنا أحس وأنا واقف حيالها انى أمام عالم واسع ليس له حدود ، وأشعر في نفسي برهبة خفية تمنعني من أن أخوض في بحر ليس له قاع ، ولا أرى له على البعد ، من الشاطئ الذى أقف فيه ، شاطئاً آخر أنتهى اليه ..

والحق انى أريد أن أتجنب كلمة فلسفة في هذا الذى سأقوله ، ثم أنا أظن أنه من الصعب على أن أتحدث عن فلسفة الثورة .

من الصعب لسبيين :

أولهما أن الحديث عن فلسفة ثورة ٢٣ يوليو يلزمه أساتذة يتعمقون في البحث عن جذورها الضاربة في أعماق تاريخ شعبنا .

وقصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملؤها الهباء (١) أو كذلك ليس فيها مفاجآت تقفز الى الوجود دون مقدمات .

ان كفاح أى شعب ، جيلاً بعد جيل ، بناء يرتفع حجراً فوق حجر ..

وكما أن كل حجر في البناء يتخذ من الحجر الذى تحته قاعدة يرتكز عليها ، كذلك الأحداث في قصص كفاح الشعوب ..

(١) يعنى انه لايمكن ان تقع حادثة من حوادث التاريخ دون أن يكون لها سبب أو أسباب من الماضي ، لان التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، كل حلقة منها متصلة بالحلقة التى قبلها والحلقات التى بعدها ، ولا يمكن أن يكون بين هذه الحلقات فراغ ليس فيه الا الهباء .

كل حدث منها هو نتيجة لحدث سبقه ، وهو في نفس الوقت مقدمة لحدث ما زال في ضمير القريب ..

\*\*\*

ولست أريد أن ادعى لنفسي مقعد أستاذ التاريخ ..

ذلك آخر ما يجري به خيالي ..

ومع ذلك فلو حاولت محاولة تليد مبتدئ ، في دراسة قصة كفاح شعبنا ، فاني سوف أقول مثلاً أن ثورة ٢٣ يوليو هي تحقيق للأمل الذي راود شمعب مصر ه منذ بدأ في العصر الحديث يفكر في أن يكون حكمه بأيدي أبنائه ، وفي أن تكون له نفسه الكلمة العليا في مصيره ..

لقد قام بمحاولة لم تحقق له الأمل الذي تمناه ، يوم تزعم السيد عمر مكرم حركة تنصيب محمد على واليا على مصر ، باسم شعبها (١)

(١) كان السيد عمر مكرم أول مصري في التاريخ الحديث ، نادى بحق الشعب في الحرية وفي السيادة . وكان أول شهرته خلال الحملة الفرنسية على مصر . إذ كان من قواد حركة المقاومة الشعبية التي انتهت بجللاء الفرنسيين ، ثم قاد حركة المقاومة ضد طغيان المماليك والباشا العثماني . وكان محمد على في ذلك الوقت ضابطاً لأحدى الفرق العثمانية في مصر ، فانضم الى حركة المقاومة الشعبية . ووثق صلته بالزعيم عمر مكرم ، فانخدع به ورشحه للولاية ، فبايعه الشعب واليا وكتب زعماءه بذلك الى الخليفة العثماني في استنبول ، فأقر الخليفة هذه البيعة مكرها ، نزولا على ارادة الشعب . فلما تم لمحمد على ما أراد ، وصار واليا على مصر تنكر للشعب ، وخان عهده للزعماء ، ونلى السيد عمر مكرم الى دمياط ، ثم الى طنطا . فظل منفيا حتى مات .

وصار عرش مصر وراثه لاسرة محمد على ، يتوارثه امير عن امير ، وكان فاروق المخلوع آخر هذه السلسلة ، فابعد عن العرش في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ لم انتهت الملكية واعلنت جمهورية مصر في يونيو سنة ١٩٥٣ ، بعد قرن ونصف قرن من اعتلاء محمد على لعرش مصر .



وقام بمحاولة لم تحقق له الامل الذى تمناه ، يوم حاول عرابى  
أن يطالب بالدستور (١) .

وقام بمحاولات متعددة ، لم تحقق له الامل الذى تمناه ، فى  
فترة الفليان الفكرى التى عاشها بين الثورة العرابية وثورة سنة  
١٩١٩ . (٢)

(١) كان احمد عرابى ضابطا فى الجيش المصرى ، وكان مصريا صميما ، فى  
حين كان اكثر ضباط الجيش من الترك والشرس والارمن والارناؤوط . ولم يكن  
مسموحا للضباط المصريين أن يتجاوزوا الترقية رتبة معينة ، مهما بلغوا من  
النشاط والكفاية ، وكانت مرافق البلاد كلها فى ايدى الاجانب ، وكان الخديوى  
توفيق يقربهم ويحتظيهم ويجعل لهم الامتياز والسيادة على اهل البلاد . وكان  
نظام الحكم استبداديا والضرائب ثقيلة ومجحفة ، وخزانة الدولة خاوية ،  
والديون التى تورط فيها اسماعيل بحماقة تثقل كاهل الحكومة والاهاالى وتجعل  
للدائنين الاجانب السلطة العليا . . رأى احمد عرابى هذا ، ورآه زملاؤه  
الضباط المصريون فى الجيش ، فاجتمعوا امرهم على خطة لمقاومة هذا الطغيان ،  
ولاصلاح نظام الحكم والاعتراف بحق الشعب فى السيادة . .

واجتمع الجيش كله فى ميدان عابدين ، ليطلب الى الخديوى باسم الشعب  
اصلاح أداة الحكم ، وانشاء حكم نيابى ، والحد من سلطة الاجانب . . فاضطر  
توفيق الى الاستجابة لمطالب الشعب ، وحقق له ما أراد . ثم راح يدبر أمره  
مع الانجليز فى الخفاء ، ليقتضى على روح المقاومة فى الشعب ، وكانت العاقبة كما  
أراد ، فاحتل الانجليز مصر . واعتقلوا احمد عرابى وزملاءه ، ونفوههم الى احدى  
جزر المحيط الهندى ، وكان هذا اول الاحتلال الذى جثم بالقائه على صدر  
الوطن اثنتين وسبعين سنة حتى اكبرهم المصريون فى سنة ١٩٥٤ على الجلاء .

(٢) فى هذه الفترة التى عاشتها مصر بين الثورتين ، فى اواخر القرن الماضى  
واوائل هذا القرن ، انتشرت الافكار الحرة ، وبدأ الوعى القومى ينضج . وكان  
آراء السيد عبد الرحمن الكواكبي والسيد جمال الدين الافغانى ، اثرها فى  
ايظاف الوعى ، فأمن الشعب بحقه فى الاستقلال والحرية . وبدأ يدبر أمره  
لتحقيق هذين المطلبين . وكان من زعماء هذه الفترة محمد عبده ، ومصطفى كامل ،  
ومحمد فريد ، وعبد العزيز جاویش .

وكانت هذه الثورة الاخيرة - ثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول - محاولة أخرى لم تحقق له الأمل الذي تمناه (١) .

وليس صحيحا أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التي أسفرت عنها حرب فلسطين (٢) ، وليس صحيحا كذلك أنها قامت

(١) لما احتلت بريطانيا مصر في سنة ١٨٨٢ زعمت أن احتلالها مؤقت ، وأنها ستجلب عن مصر حين تستقر أمورها الداخلية ، وظلت على هذا الزعم حتى نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، فكشفت عن خبيثتها وفرضت على مصر الحماية البريطانية ، ولكي تغدر شعور المصريين زعمت أن هذه الحماية مؤقتة كذلك ، وأن ظروف الحرب هي التي فرضتها .

فلما انتهت الحرب في أواخر سنة ١٩١٨ أجمع المصريون على ضرورة إنهاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر ، وذهب سعد زغلول وكيل الجمعية التشريعية الى دار العتمد البريطاني في القاهرة ، مع على شعراوي وعبد العزيز فهمي ، ليطالبوا اليه باسم مصر ، أن ينقل الى حكومته في لندن رغبة المصريين في إنهاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، فلم تطق بريطانيا صبرا على هذا المطلب ، واعتقلت سعد وأصحابه ، ونفثهم الى مألطة ، فكان هذا سببا لاستتعال ثورة سنة ١٩١٩ ، وتعتبر هذه الثورة مرحلة من المراحل الرئيسية في تاريخ العلاقات بين مصر وبريطانيا .

(٢) كانت فلسطين - الى الحرب العالمية الاولى - جزءا من أملاك الدولة العثمانية فلما نشبت تلك الحرب ، احتلتها بريطانيا باعتبارها من أملاك دولة معادية . ولكي تكسب بريطانيا تأييد العرب لها في تلك الحرب . أعلنت أنها سترد اليهم بلادهم وتعترف باستقلالهم ، اذا اعانوها على حرب الترك ، فكان هذا الوعد سببا لانضمامهم الى صف بريطانيا في تلك الحرب ، ولكن بريطانيا لم تكذب بلغ النصر ، حتى تنكرت للعرب ، واعتبرت بلادهم غنيمة حرب ، وفرضت سلطاتها على فلسطين ، لتهمد لليهود أن ينشئوا لهم فيها وطنا قويا ، فشار عرب فلسطين على هذا الوضع ولم يرضوه ، ولكن بريطانيا لم تبال بثورات العرب المتعاقبة . واخذت تهيب لليهود في سائر بلاد العالم ، وسائل الهجرة الى فلسطين والاستقرار بها لتكون لهم وطنا ، حتى اجتمع نحو ثلث مليون ، يزاحمون أهل البلاد في أرزاقهم ويزحزونهم عن أرضهم . فلما بلغ اليهود من الكثرة والقوة في فلسطين هذا المبلغ ، انسحبت منها بريطانيا وتركت العرب الوطنيين =

بسبب الاسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط (١) .  
وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال من أن السبب كان أزمة انتخابات  
نادى ضباط الجيش (٢) .

= واليهود الطارئین يتقاتلون وجها لوجه ، هؤلاء يطمعون في الاستيلاء على وطن لم  
يكن لهم فيه شبر من أرض ، وأولئك يدافعون عن وطنهم ومشوى آباءهم  
وأجدادهم .

ولم يكن لعرب فلسطين من القوة ما يهيء لهم أسباب الغلبة ، فقررت  
الدول العربية أن تساعدكم على الظفر بحقهم وطرد العدو الدخيل عن بلادهم .  
وبدأت فرق المتطوعين المصريين تأخذ مراكزها في ميدان المقاومة بقيادة  
ضباط مصريين أحرار .. تطوعوا لبذل دماهم في سبيل الإبقاء على عروبة  
فلسطين ، وكان لهم بلاء يذكر بالاعجاب .

ثم دخل الجيش المصرى فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وأوغل في البلاد  
وفر اليهود أمامه مذعورين يتخلون عن معاقلم معقلا بعد معقل . وظهرت تباشير  
النصر القريب ..

في أثناء ذلك وقلوب العرب في شتى بلادهم تخفق بعنف وهم يترقبون  
الساعة التى تأتيم فيها أنباء النصر الحاسم ، حدثت خيانة كبيرة . كان فاروق  
ملك مصر المخلوع شريكا فيها ، فوفقت الدول العربية صك الهدنة وهى في أوج  
انتصارها .. وأفلتت الثمرة الدانية من أيدي العرب ..

(١) في أثناء هذه الهدنة التى فرضتها الخيانة على الجيش المصرى  
والجيوش العربية المنتصرة ، زودت بريطانيا وحلفاؤها اليهود بكل ما يحتاجون  
اليه من الاسلحة الثقيلة والخفيفة ، ليكونوا على أهبة كاملة حين تستأنف  
الحرب . وكان فاروق وسماسته خلال ذلك يستولون على أموال الخزنة بدعوى  
شراء الاسلحة للجيش المرابط في ميدان القتال ، فيأخذونها لأنفسهم ، ويرسلون  
الى الجيش بثمانها أسلحة فاسدة ، تصيب أصحابها ولا تصيب العدو ، فكانوا  
بذلك عوناً لليهود على النصر ، وراحت فلسطين نفسها وغلب عليها اليهود .  
ولم تزل تحت أيدي اليهود وأهلها مشردون في الفلوات لا يجدون ماوى .. !

(٢) كان الضباط الاحرار قد شكلوا هيئتهم قبل ذلك وصاروا قوة ذات  
اثر في كل فرقة من فرق الجيش ، استعدادا لتخليص البلاد من الطغيان ، ومن  
الفساد ، ومن الاحتلال البريطانى . وكان فاروق يضع على رأس الجيش جماعة =

اتما الأمر في رأيي كان أبعد من هذا وأعمق أغوارا .

ولو كان ضباط الجيش حاولوا أن يثوروا لأنفسهم لأنه قد غرر بهم في فلسطين أو لأن فضيحة الأسلحة الفاسدة أرهقت أعصابهم أو لأن اعتداء وقع على كرامتهم في انتخابات نادي ضباط الجيش ، لما كان الأمر يستحق أن يكون ثورة ، ولكن أقرب الأشياء إلى وصفه أنه مجرد تمرد ، حتى وإن كانت الأسباب التي أدت إليه منصفة عادلة في حد ذاتها .

لقد كانت هذه كلها أسبابا عارضة . .

وربما كان أكبر تأثير لها أنها كانت تستحثنا على الإسراع في طريق الثورة ، ولكننا كنا من غيرها نسير على هذا الطريق .

وأنا أحاول اليوم بعد كل ما مر بي من أحداث ، وبعد سنوات طويلة من بدء التفكير في الثورة ، أن أعود بذاكرتي وأتعقب اليوم الأول الذي اكتشفت فيه بذورها في نفسي .

ان هذا اليوم أبعد في حياتي من أيام شهر نوفمبر سنة ١٩٥١ ، أيام ابتداء أزمة نادي الضباط ، ففي ذلك الوقت كان تنظيم الضباط الأحرار قائما يباشر عمله ونشاطه ، بل أنا لا أغالي إذا قلت أن أزمة انتخابات النادي أثارها أكثر من أي شيء آخر نشاط الضباط الأحرار فقد شئنا في ذلك الوقت أن ندخل معركة نجرب فيها قوتنا على التكتل وعلى التنظيم .

وهذا اليوم - في حياتي أيضا - أبعد من بدء فضيحة الأسلحة الفاسدة ، فقد كان تنظيم الضباط الأحرار موجودا قبلها ، وكانت

---

= من سماسرته وبطانته هم عناوين الجيش البارزة أمام الناس ، فمنهم الرؤساء الكبار ، والقادة العاملون ، وممثلو الجيش في كل مناسبة يراد أن يمثل فيها الجيش ، ومنهم هيئة الإدارة في نادي الضباط ، فلما حان موعد الانتخاب لرياسة النادي في سنة ١٩٥١ ، حرص الضباط الأحرار على إبعاد سماسرة فاروق وبطانته من رياسة النادي وانتخبوا رئيسا منهم تحديدا لإرادة فاروق فطاش صواب فاروق والى الانتخاب ، وكان ذلك أول مظهر صريح من مظاهر الخلاف بينه وبين الجيش .

منشوراتهم أول نذير بتلك المأساة ، وكان نشاطهم وراء الضجة التي قامت حول الاسلحة الفاسدة .

بل ان هذا اليوم في حياتي أبعد من يوم ١٦ مايو سنة ١٩٤٨ ، ذلك اليوم الذي كان بداية حياتي في حرب فلسطين .

وحين أحاول الآن أن استعرض تفاصيل تجاربنا في فلسطين أجد شيئاً غريباً .

فقد كنا نحارب في فلسطين ، ولكن احلامنا كلها كانت في مصر .

كان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض امامنا في خنادقه ، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذي تركناه للذئاب ترعاه ..

وفي فلسطين كانت خلايا الضباط الاحرار تدرس وتبحث وتجتمع في الخنادق والمراكز .

في فلسطين جاءني صلاح سالم وزكريا محيي الدين (١) واخترقا الحصار الى الفالوجة ، وجلسنا في الحصار لا نعرف له نتيجة ولا نهاية وكان حديثنا الشاغل وطننا الذي يتعين علينا أن نحاول انقاذه ..

وفي فلسطين جلس بجوارى مرة كمال الدين حسين وقال لى وهو ساهم الفكر شارد النظرات :

— هل تعلم ماذا قال لى أحمد عبد العزيز (٢) قبل أن يموت ؟

قلت :

---

(١) من أعضاء مجلس قيادة الثورة .

(٢) فدائى مصرى عظيم . كان فسابطاً في الجيش المصرى . ثم قاد قوات المتطوعين المصريين للدفاع عن فلسطين . قبل ان تقرر الدول العربية الاشتراك في المعركة ، وكان له بلاد مشهود في كثير من المعارك ، وقضى شهيداً في الميدان سنة ١٩٤٨ .

— ماذا قال ... ؟

قال كمال الدين حسين وفي صوته نبرة عنيقة وفي عينيه نظرة أعمق :

— لقد قال لى : اسمع يا كمال ، ان ميدان الجهاد الاكبر هو فى مصر ...

ولم التقي فى فلسطين بالاصدقاء الذين شاركونى فى العمل من أجل مصر ، وانما التقيت أيضا بالأفكار التى أنارت أملى السبيل .  
وانا اذكر ايام كنت اجلس فى الخنادق وأسرح بذهنى الى مشاكلنا ...

كانت الفالوجة محاصرة ، وكان تركيز العدو عليها ضربا بالمدافع والطيران تركيزا هائلا مروعا .  
وكثيرا ما قلت لنفسى :

« ها نحن هنا اولاء فى هذه الجحور محاصرين . لقد غرر بنا ، ودفعنا الى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح »

وحين كنت أصلى الى هذا الحد من تفكيرى كنت أجد خواطرى تقفز فجأة عبر ميادين القتال ، وعبر الحدود ، الى مصر ، وأقول لنفسى :

هذا هو وطننا هنا ، انه « فالوجة » أخرى على نطاق كبير ..

ان الذى يحدث لنا هنا صورة من الذى يحدث هناك ..  
صورة مصفرة ..

وطننا هو الآخر حاصرته المشاكل والأعداء ، وغرر به ..  
ودفع الى معركة لم يعد لها ، ولعبت بأقداره . مطامع ومؤامرات وشهوات ، وترك هناك تحت النيران بغير سلاح ..



وأكثر من هذا ، لم يكن الاصدقاء هم الذين تحدثوا معي عن مستقبل وطننا في فلسطين ولم تكن التجارب هي التي قرعت أفكارنا بالنذر والاحتمالات عن مصيره ، بل ان الأعداء أيضا لعبوا دورهم في تذكيرنا بالوطن ومشاكله . . .

ومنذ أشهر قليلة قرأت مقالات كتبها عنى ضابط اسرائيلي اسمه «يردهان كوهين» ، ونشرتها له جريدة « جويش أوبزرفر » وفي هذه المقالات روى الضابط اليهودي كيف التقى بى اثناء مباحثات واتصالات عن الهدنة وقال :

« لقد كان الموضوع الذي يطرقه جمال عبد الناصر معي دائما هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز ، وكيف نظمنا حركة مقاومة السرية لهم في فلسطين وكيف استطعنا أن نجند الراى العام في العالم وراءنا في كفاحنا ضدهم » .



ثم أن هذا اليوم - اليوم الذي اكتشفت فيه بدور الثورة في نفسى - ابعء من حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ (١) الذي كتبت بعده خطابا الى صديق قلت له فيه :

---

(١) في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ كانت الجيوش الالمانية قد اجتازت حدود مصر الغربية بقيادة روميل تتعقب الجيوش البريطانية المهزومة . حتى بلغت (العلمين) على مقربة من الاسكندرية ، وأدرك الانجليز يومئذ ان آخرتهم في مصر قد حانت . وكان اشد مايفشونه ان ينضم المصريون الى اعداء بريطانيا ، انتقاما لانفسهم من المظالم التي نالهم بها الاحتلال البريطانى خلال ستين سنة ، فكانما خيل للانجليز أنهم يستطيعون أن يتقوا هذا الشر ، لو كان على رأس الحكومة المصرية رجل يامنون جانبه ، ويامنون جانب الشعب معه ، فذهب سفيرهم في ٤ فبراير الى قصر الملك يطلب اليه اسناد رئاسة الوزارة الى مصطفى النحاس ، وانذروه ان لم يفعل ، أن يتحمل نتائج رفضه ، ثم زحفت دبابات الانجليز الى قصر الملك ، فخضع فاروق واسند رئاسة الوزارة الى مصطفى النحاس استجابة لرغبة بريطانيا .

« ما العمل بعد ان وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خانعين .. ؟ »

« الحقيقة انى اعتقد أن الاستعمار يلعب بورقة واحدة في يده ، بقصد التهديد فقط ، ولكن لو أنه أحس أن بعض المصريين يتننون التضحية بدمائهم ويقابلون القوة بالقوة لانسحب كأي امرأة من العاهرات .. »

وطبعا هذا حاله أو تلك عادته ..

أما نحن ، أما الجيش ، فقد كان لهذا الحادث تأثير جديد على الروح والاحساس فيه ، فبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون الا عن الفساد واللهو . أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس في سبيل الكرامة ، وأصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا - مع ضعفهم الظاهر - ويردوا للبلاد كرامتها ، ويفسلوها بالدماء ، ولكن ان غدا لناظره قريب .

لقد حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيئا بغية الانتقام، ولكن الوقت كان قد فات ، أما القلوب فكلها نار وأسى ..

والواقع أن هذه الحركة .. ان هذه الطعنة ، ردت الروح الى بعض الاجساد ، وعرفتهم ان هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها ، وكان هذا درسا قاسيا .

وكذلك فان هذا اليوم أبعد في حياتي من الفوران الذي عشت فيه أيام كنت طالبا أمشي مع المظاهرات الهائفة بعودة دستور سنة ١٩٢٣

وقد عاد الدستور بالفعل - في سنة ١٩٣٥ (١) .. وإيام كنت

---

(١) لم يكن قصد الملك فؤاد . والانجليز من ورائه - حين اعلن الدستور في سنة ١٩٢٣ ودعا الشعب الى انتخاب ممثليه في البرلمان - الا أن يصدر وحدة الشعب ، ويشغله عن آمانيه القومية ، وقد تحقق له وللانجليز ما أرادوا من ذلك فتصدت وحدة الشعب بالمنافسات الحزبية حول مقاعد البرلمان ومناصب الحكم عن آمانيه القومية . وقد تحقق له وللانجليز ما أرادوا من ذلك . =



أسمى منع وفود الطلبة ، الى بيوت الزعماء نطلب منهم ان يتحدوا من أجل مصر ، وتآلفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ بالفعل على اثر هذه الجهود ..

واذكر اننى في فترة الفوران هذه كتبت خطابا الى صديق من اصدقائي - قلت فيه ، وكان تاريخه ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ :  
« أخى ..

» خاطبت والدك يوم ٣٠ أغسطس في التليفون وقد سألته عنك فأخبرنى أنك موجود في المدرسة ..

---

== تصدعت وحدة الشعب التي زلزلت كيان بريطانيا في سنة ١٩١٩ وصار الشعب أحزابا وشيعا يكيد بعضهم لبعض . ويتربص بعضهم لبعض ، وشغلهم الصراع على المناصب عن الكفاح لتحقيق الاستقلال .

ورأى فؤاد الفرصة سانحة في سنة ١٩٣٠ ليسترد الدستور الذى أعلنه في سنة ١٩٢٣ ليعود الى نوع من حكم الفرد موهو بعنوان دستورى زائف ، فأعلن إلغاء الدستور واستبدل به دستورا آخر لا يحقق للشعب سلطة ولا سيادة ، وقهر البلاد بالعنف على الاستسلام والرضا . وفرض عليها حكومة استبدادية ، لتنتحل صفة دستورية زائفة ، يضع سنين ، ولكن الشعب لم يخضع ، ولم يتخل عن مثله العليا وأمانيه القومية التي يكافح في سبيلها منذ سنين ذات عدد ، فما هو الا أن أتاحت له الفرصة سنة ١٩٣٥ ، حتى ثار ثورة حاطمة ، مطالبا بعودة دستور سنة ١٩٢٣ .

وطاطا فؤاد رأسه للشعب ، كما طاطا أخوه توفيق من قبل للثورة العربية ورد للشعب دستور سنة ١٩٢٣ ، ودعاه لانتخاب ممثليه في البرلمان على النظام الذى يرضيه .. ولكن كما كان خضوع توفيق في سنة ١٨٨١ ، كان خضوع فؤاد من بعد تهيئدا لمعاهدة ١٩٣٦ التي تربط مصر الى عجلة بريطانيا ربطا أبديا لا فكك منه فعلى اثر عودة الدستور ، تآلفت الجبهة الوطنية التي تضم زعماء الاحزاب جميعا لتدخل مع بريطانيا في مفاوضة جديدة تحل المسائل المعلقة بين البلدين ، ثم انتهت هذه المفاوضات الى المعاهدة الابدية التي مزقتها الثورة الشعبية بعد ذلك واکرھت الانجیل على الجلاء الذى لارجعة بعده .

» لذلك عولت على أن أكتب اليك ما كنت سأكلمك فيه .  
تليفونيا .

» قال الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . . )  
فأين تلك القوة التي نستعد بها لهم . . ؟

» ان الموقف اليوم دقيق ، ومصر في موقف أدق . . ونحن  
نكاد نودع الحياة ونصافح الموت ، فان بناء اليأس عظيم الأركان ،  
فأين من يهدم هذا البناء . . ؟ »

ثم مضيت في الخطاب الى آخره . .

واذن فمتى كان ذلك اليوم الذي اكتشفت فيه بدور الثورة  
في أعماق . . ؟

فلو اضيف الى هذا كله ، ان تلك البذور لم تكن كامنة في  
أعماقى وحدى ، وانما وجدتھا كذلك في أعماق كثيرين غيرى هم  
الآخرون بدورهم لا يستطيع الواحد منهم أن يتعقب بداية وجودها  
داخل كيانه ، لاتضح اذن أن هذه البذور ولدت في أعماقنا حين  
ولدنا ، وانھا كانت أملا مكبوتا خلفه في وجداننا جيل سبقنا . .

ولقد استطردت وراء هذا كله لأشرح السبب الأول الذى من  
أجله وجدت من الصعب على أن أتحدث عن فلسفة الثورة وقلت أن  
هذا الحديث يلزمه أساتذة يتعمقون في البحث عن جذورها الضاربة  
في أعماق تاريخ شعبنا . .

أما السبب الثانى فهو أننى كنت بنفسى داخل الدوامة  
العنيفة للثورة . .

والذين يعيشون في أعماق الدوامة قد تخفى عليهم بعض  
التفاصيل البعيدة عنها . .

وكذلك كنت بايمانى وعقلى وراء كل ما حدث ، وببنفس  
الطريقة التى حدث بها ، واذن فهل أستطيع أن أتجرد من نفسى  
حين أتكلم عنه ، وحين أتكلم عن المعانى المستترة وراءه . . ؟

أنا من المؤمنين بأنه لا شىء يمكن أن يعيش في فراغ . .

حتى الحقيقة لا يمكن أن تعيش في فراغ ..  
والحقيقة الكامنة في أعماقنا هي : ما نتصور نحن أنه الحقيقة ،  
أو بمعنى أصح : هو الحقيقة مضافا إليها نفوسنا ..

نفوسنا هي الوعاء الذي يعيش فيه كل ما فينا ، وعلى شكل  
هذا الوعاء سوف يتشكل كل ما يدخل فيه ، حتى الحقائق (١) .

وأنا أحاول - بقدر ما تستطيع طاقتي البشرية - أن أمنع  
نفسى من أن تغير كثيرا من شكل الحقيقة ، ولكن الى أى حد سوف  
يلازمنى التوفيق ... ؟

هذا سؤال .. !

وبعده أريد أن أكون منصفاً لنفسى ، ومنصفاً لفلسفة الثورة ،  
فأتركها للتاريخ يجمع شكلها في نفسى ، وشكلها في نفوس غيرى ،  
وشكلها في الحوادث جميعا ، ويخرج من هذا كله بالحقيقة  
كاملة (٢) .

\*\*\*

وأذن فما الذى أريد أن أتحدث عنه إذا كنت قد استبعدت  
كلمة « فلسفة » ؟ الواقع أن الذى أملكه فى هذا الصدد شيان :

أولهما مشاعر اتخذت شكل الأمل المبهم ، ثم شكل الفكرة  
المحددة ، ثم شكل التدبير العملى ، حتى منتصف ليل ٢٣ يوليو .

(١) يعنى أننا نستطيع أن نحكم على الشيء بدفة تجعل حكمنا عليه قريبا  
من الحقيقة ، إذا كنا نحن أنفسنا جزءا من هذه الحقيقة ، فان شرط القاضي أن  
يتجرد وألا يحكم في قضية يتصل موضوعها بشخصه أى اتصال ، حتى لا يتلون  
حكمه بلون من ألوان عاطفته .

(٢) يعنى أنه مادام التجرد للحكم غير مستطاع ، فان الانصاف يفرض عليه  
أن يترك الحكم للتاريخ .

وثانيهما تجارب وضعت هذه المشاعر ، بأملها المبهم ، وفكرتها المحددة ، وتديرها العملى . موضع التنفيذ العملى فى منتصف ليل ٢٣ يوليو حتى الآن ..

وعن هذه المشاعر والتجارب أريد أن أتحدث ..

لطالما ألح على خواطرى سؤال ، هو :

« هل كان يجب أن نقوم ، نحن الجيش ، بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟ »

لقد قلت منذ سطور ، أن ثورة ٢٣ يوليو كانت تحقيقا لأمل كبير راود شعب مصر ، منذ بدأ فى العصر الحديث يفكر فى أن يكون حكمه فى أيدي أبنائه ، وفى أن تكون له نفسه الكلمة العليا فى مسيره ..

وإذا كان الأمر كذلك ، ولم يكن الذى حدث يوم ٢٣ يوليو تمردا عسكريا ، وليس ثورة شعبية ، فلماذا قدر للجيش ، دون غيره من القوى ، أن يحقق هذه الثورة .. ؟

ولقد آمنت بالجندية طول عمري ، والجندية تجعل للجيش واجبا واحدا هو أن يموت على حدود وطنه ، فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطرا للعمل فى عاصمة الوطن ، وليس على حدوده .. ؟

ومرة أخرى ، دعونى أنبه الى أن الهزيمة فى فلسطين ، والاسلحة الفاسدة وأزمة نادى الضباط ، لم تكن المنابع الحقيقية التى تدفق منها السيل ، لقد كانت هذه كلها عوامل مساعدة على سرعة التدفق ولكنها - كما سبق أن قلت - لا يمكن أبدا أن تكون هى الأصل والأساس ..

واذن فلماذا وقع على الجيش هذا الواجب .. ؟

قلت ان هذا السؤال طالما ألح على خواطرى ..

ألح عليها ونحن فى دور الأمل والتفكير والتدبير بعد ٢٣ يوليو -

وألح عليها فى مراحل كثيرة من التجربة بعد ٢٣ يوليو .

ولقد كانت أمامنا مبررات مختلفة قبل ٢٣ يوليو تشرح لنسا لماذا يجب أن نقوم بالذى قمنا به ..

كنا نقول : اذا لم يقم الجيش بهذا العمل فمن يقوم به ؟

وكنا نقول : كنا نحن الشبح الذى يؤرق به الطاغية أحلام الشعب ، وقد آن لهذا الشبح أن يتحول الى الطاغية فيبدد أحلامه هو ..

وكنا نقول غير هذا كثيرا ، ولكن الأهم من كل ما كنا نقوله أننا كنا نشعر شعورا يمتد الى أعماق وجودنا بأن هذا الواجب واجبا وأنا اذا لم نقوم به نكون كأننا قد تخلينا عن أمانة مقدسة نبط بنا حملها ..

ولكنى أعترف أن الصورة الكاملة لم تتضح فى خيالى الا بعد فترة طويلة من التجربة عقب ٢٣ يوليو ..

وكانت تفاصيل هذه التجربة ، هى بعينها تفاصيل الصورة .

وانا أشهد أنه مرت على بعد يوم ٢٣ يوليو نوبات اتهمت فيها نفسى وزملائى وباقى الجيش بالحماسة والجنون الذى صنعناه فى ٢٣ يوليو ..

لقد كنت أتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة، وانها لا تنتظر الا طليعة تقتحم أمامها السور ، فتندفع الأمة وراءها صفوفا متراصة منتظمة تزحف زحفا مقدسا الى الهدف الكبير ..

وكنى أتصور دورنا على أنه دور طليعة الفدائيين ، وكنى أظن أن دورنا هذا لا يستغرق أكثر من بضع ساعات ، ويأتى بعدها الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة الى الهدف الكبير ، بل لقد كان الخيال يشط بى أحيانا فيخيل الى أنى أسمع صليل الصفوف المتراصة وأسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم الى الهدف الكبير ، أسمع هذا كله ويبدو فى سمعى ، من فرط إيمانى به ، حقيقة مادية وليس مجرد تصورات خيال ..

تم فاجأنى الواقع بعد ٢٣ يوليو ..

قامت الطليعة بمهمتها ، واقتحمت سور الطفيان . وخلعت  
الطاغية ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصفوف المتراصة  
المنتظمة الى الهدف الكبير ..

وطال انتظارها ..

لقد جاءت جموع ليس لها آخر .. ولكن ما أبعد الحقيقة من  
الخيال .. !

كانت الجموع التي جاءت أشياء متفرقة ، وفلولا متناثرة ،  
وتعطل الزحف المقدس الى الهدف الكبير ، وبدأت الصورة يومها  
قائمة مخيفة تنذر بالخطر ..

وساعتها أحسست وقلبي يملؤه الحزن وتقطر منه المראה ،  
أن مهمة الطليعة لم تنته في هذه الساعة ، بل انها من هذه الساعة  
بدأت ..

كنا في حاجة الى النظام ، فلم نجد وراءنا الا الفوضى ..

وكنا في حاجة الى الاتحاد ، فلم نجد وراءنا الا الخلاف .

وكنا في حاجة الى العمل ، فلم نجد وراءنا الا الخنوع  
والتكاسل . ومن هنا ، وليس من أى شيء آخر ، أخذت الثورة  
شعارها (١) .

ولم نكن على استعداد ..

وذهبنا نلتبس الراى من ذوى الراى ، والخبرة من أصحابها  
.. ومن سوء حظنا لم نعثر على شيء كثير ..

---

(١) شعار الثورة النظام - والاتحاد - والعمل ، وقد حلل الاستاذ عباس  
محمود العقاد ووازن بينه وبين شعار كل من الثورة الفرنسية والثورة التركية ،  
والثورة الروسية ، والثورة الصينية ، وأسهب في تحليل كل شعار منها ومدى  
انطباقه على واقع كل ثورة من تلك الثورات . انظر « فلسفة الثورة في الميزان »  
للاستاذ عباس محمود العقاد .

كل رجل قابلناه لم يكن يهدف الا الى قتل رجل آخر .. !  
 وكل فكرة سمعناها لم تكن تهدف الا الى هدم فكرة أخرى !  
 ولو اطعنا كل ما سمعناه ، لقتلنا جميع الرجال وهدمنا  
 جميع الأفكار ، ولما كان لنا بعدها ما نعمله الا أن نجلس بين الأشلاء  
 والأنقاض نندب الحظ البائس ونلوم القدر التعس .. !  
 وانهارت علينا الشكاوى والعرائض بالالوف ومئات الالوف ،  
 ولو أن هذه الشكاوى والعرائض كانت تروى لنا حالات تستحق  
 الانصاف ، أو مظالم يجب أن يعود اليها العدل ، لكان الأمر منطقيا  
 ومفهوما ولكن معظم ما كان يرد إلينا لم يزد أو ينقص عن أن يكون  
 طلبات انتقام .. كان الثورة قامت لتكون سلاحا في يد الأحقاد  
 والبغضاء ..

\*\*\*

ولو أن احدا سألني في تلك الايام : ما هو اعز امانيك ؟ لقلت  
 له على الفور :  
 - أن اسمع مصريا يقول كلمة انصاف في حق مصرى آخر .  
 وأن احس أن مصريا قد فتح قلبه للصفح والغفران والحب  
 لآخوانه المصريين ..  
 وأن أرى مصريا لا يكرس وقته لتسفيه آراء مصرى آخر ..  
 وكانت هناك بعد ذلك كله أنانية فردية مستحكمة ..  
 كانت كلمة « أنا » على كل لسان ..  
 كانت هي الحل لكل مشكلة ، وكانت الدواء لكل داء ..  
 وكثيرا ما كنت أقابل كبراء - أو هكذا تسميهم الصحف -  
 من كل الاتجاهات والألوان ، وكنت أسأل الواحد منهم في مشكلة  
 أتمس عنده حلا لها فلم أكن أسمع الا أنا ..  
 مشاكل الاقتصاد « هو » وحده يفهمها ، أما الباقون جميعا  
 فهم في العلم بها أطفال يحبون ..

ومشاكل السياسة « هو » وحده الخبر بها ، أما الباقون جميعا فما زالوا في « ألف باء » لم يتقدموا بعدها حرفا واحدا .

وكنت أقابل الواحد من هؤلاء ، ثم أعود الى زملائي فأقول لهم في حسرة :

— لا فائدة .. هذا رجل لو سألناه عن مشكلة صيد السمك في جزائر هاواي لما وجدنا عنده جوابا الا كلمة « أنا » .. !



أذكر مرة كنت أزور فيها إحدى الجامعات .. ودعوت أساتذتها وجلست معهم أحاول أن أسمع منهم خبرة العلماء .

وتكلم أمامي منهم كثيرون .. وتكلموا طويلا ..

ومن سوء الحظ أن أحدا منهم لم يقدم لى أفكارا ، وإنما كل واحد منهم لم يزد على أن قدم لى نفسه ، وكفائاته الخليقة وحدها بعمل المعجزات ، ورمقنى كل واحد منهم بنظرة الذى يؤثرنى على نفسه بكنوز الأرض وذخائر الخلود .. !

وأذكر أنى لم أتمالك نفسى فقمت بعدها أقول لهم :

« أن كل فرد منا يستطيع فى مكانه أن يصنع معجزة ، أن واجبه الأول أن يعطى كل جهده لعمله ، ولو أنكم ، كأساتذة جامعات ، فكرتم فى طلبتكم ، وجعلتموهم — كما يجب — عملكم الأساسى ، لاستطعتم أن تعطونا قوة هائلة لبناء الوطن .

أن كل واحد يجب أن يبقى فى مكانه ويبذل فيه كل جهده .

لانتظروا إلينا ، لقد اضطررنا الظروف أن نخرج من أماكننا لنقوم بواجب مقدس ، ولقد كنا نتمنى لو لم تكن للوطن حاجة بنا الا فى صفوف الجيش كجنود محترفين ، وأذن لبقينا فيه . »

ولم أشأ ساعتها أن أضرب لهم المثل من أعضاء مجلس قيادة الثورة ولم أشأ أن أقول لهم انهم قبل أن يدعوهم الطارىء الذى دعاهم الى الواجب الاكبر كانوا يبذلون فى عملهم كل جهدهم .



ولم أشأ أن أقول لهم أن معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا أساتذة في كلية أركان الحرب ، وهذا دليل امتيازهم من ناحيتهم كجنود محترفين ..

وكذلك لم أشأ أن أقول لهم أن ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، هم عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، وكمال الدين حسين رقوا ترقيات استثنائية في ميدان القتال في فلسطين .

لم أشأ أن أقول لهم شيئاً من هذا ، لأنى لا أريد أن أفاخر الناس بأعضاء مجلس قيادة الثورة وهم اخوتى وزملائى ..



وأعترف أن هذا الحال كله سبب لى أزمة نفسية كئيبة .

ولكن التجارب فيما بعد ، وتأمل هذه التجارب واستخلاص معانيها الحقيقية ، خففت من وقع الأزمة فى نفسى ، وجعلتنى ألتمس لهذا كله أعذاراً من الواقع عثرت عليها حين اتضحت أمامى - الى حد ما - الصورة الكاملة لحالة الوطن ، وأكثر من هذا أعطتنى الجواب على السؤال الذى قلت انه طالما راودنى ، وهو :  
« هل كان يجب أن نقوم - نحن الجيش - بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليو ٤٠٠ »

والجواب : نعم ، ولم يكن هناك مهرب أو مفر .. !  
وأنا الآن أستطيع أن أقول أننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة ..

ولكل شعب من شعوب الأرض ثورتان :  
ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، أو من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه ..  
وثورة اجتماعية ، تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد .  
لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى شعوب مرت

بالثورتين ، ولكنها لم تعشهما معا ، وانما فصل بين الواحدة والثانية مئات من السنين ، أما نحن فان التجربة الهائلة التى امتحن بها شعبنا هى أن تعيش الثورتان معا فى وقت واحد .

\*\*\*

وهذه التجربة الهائلة مبعثها أن لكل من الثورتين ظروفنا مختلفة تتنافر تنافرا عجيبا ، وتتصادم تصادما مروعا ..

ان الثورة السياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الأمة وترايتها وتساندها ونكراتها لذاتها فى سبيل الوطن كله .

والثورة الاجتماعية ، من أول مظاهرها ، تزلزل القيم وتخلخل العقائد ، وتصارع المواطنين مع أنفسهم أفرادا وطبقات ، وتحكم الفساد والشك والكراهية .. والآنانية ..

وبين شقى الرحى هذين ، قدر لنا أن نعيش اليوم فى ثورتين : ثورة تحتم علينا أن نتحد ، ونتحاب ، ونتفانى فى الهدف ، وثورة تفرض علينا - برغم ارادتنا - أن نتفرق ، وتسودنا البغضاء ، ولا يفكر كل منا الا فى نفسه ..

وبين شقى المرحى هذين - مثلا - ضاعت ثورة ١٩١٩ ولم تستطع أن تحقق النتائج التى كان يجب أن تحققها .

الصفوف التى تراصت فى سنة ١٩١٩ تواجه الطفيان ، لم تلبث الا قليلا حتى شغلها الصراع فيما بينها أفرادا وطبقات .

وكانت النتيجة فشلا كبيرا ، فقد زاد الطفيان بعدها تحكما فينا ، سواء بواسطة قوات الاحتلال السافرة ، أو بصنائع الاحتلال المقنعة التى كان يترجمها فى ذلك الوقت السلطان فؤاد وبعده ابنه فاروق ولم يحصد الشعب الا الشكوك فى نفسه ، والكراهية والبغضاء والأحقاد فيما بين أفراد وطبقاته .

شحب الأمل الذى كان ينتظر أن يحققه ثورة ١٩١٩

ولقد قلت شحب الأمل ، ولم أقل تلاشى ، ذلك لأن قوى المقاومة الطبيعية التى تدفعها الأمل الكبيرة التى تراود شعبنا ، كانت لا تزال تعمل عملها وتستعد لمحاولة جديدة .

وكان ذلك هو الحال الذى ساد بعد ثورة سنة ١٩١٩ ،  
والذى فرض على الجيش أن يكون وحده القوة القادرة على العمل .

كان الموقف يتطلب أن تقوم قوة يقرب ما بين افرادها اطار  
واحد يبعد عنهم ، الى حد ما ، صراع الافراد والطبقات ، وأن تكون  
هذه القوة من صميم الشعب ، وأن يكون فى استطاعة افرادها أن  
يثق بعضهم ببعض ، وأن يكون فى يدهم من عناصر القوة المادية ما  
يكفل لها عملا سريعا حاسما ، ولم تكن هذه الشروط تنطبق الا على  
الجيش ..

وهكذا لم يكن الجيش - كما قلت - هو الذى حدد دوره  
فى الحوادث ، وإنما العكس كان أقرب الى الصحة ، وكانت  
الحوادث وتطوراتها هى التى حددت للجيش دوره فى الصراع الكبير  
لتحرير الوطن ..



ولقد ادركت منذ البداية أن نجاحنا يتوقف على ادراكنا  
الكامل لطبيعة الظروف التى نعيش فيها من تاريخ وطننا ، فاننا لم  
نكن نستطيع أن نغير هذه الظروف بجرة قلم ، وكذلك لم نكن  
نستطيع أن تؤخر عقارب الساعة أو تقدمها ونتحكم فى الزمن ..  
وكذلك لم يكن فى استطاعتنا أن نقوم على طريق التاريخ بمهمة  
جندى المرور فنوقف مرور الثورة حتى تمر ثورة أخرى ، ونحول  
تلك دون وقوع حادث اصطدام ، وإنما كان الشئ الوحيد الذى  
نستطيعه هو أن نتصرف بقدر الامكان وننجو من أن يطحننا شفا  
المرحى .. !

وكان لابد أن نسير فى طريق الثورتين معا ..

ويوم سرنا فى طريق الثورة السياسية ، فخلعنا فاروق عن  
عرشه ، سرنا خطوة مماثلة فى طريق الثورة الاجتماعية ، فقررنا  
تحديد الملكية .

ومازالت حتى اليوم اعتقد انه ينبغى أن تظل ثورة ٢٣ يوليو  
محتفظة بقدرتها على الحركة السريعة والمباداة ، لكى نستطيع أن

نحقق معجزة السير في ثورتين في وقت واحد مهما بدا في بعض  
الاحيان من التناقض في تصرفاتنا .

وحين جاءنى واحد من أصدقائى يقول لى :

« انت تطالب بالاتحاد لمواجهة الانجليز ، وانت في نفس الوقت  
تسمح لمحاكم القدر أن تستمر في عملها . »

استمعت اليه . . وكانت في خيالى أزممتنا الكبيرة ، أزمة  
شقى الرحى . .

أزمة تقتضي أن نتحد صفا واحدا وننسى الماضى . .

وثورة تفرض علينا أن نعيد الهيبة الضائعة لقيم الأخلاق ولا  
ننسى الماضى . .

ولم أقل لهذا الصديق : ان منفذنا الوحيد الى النجاة ، ان  
نحتفظ - كما قلت - بسرعة الحركة والمبادأة ، وبالقدرة على أن  
نسير في طريقين في وقت واحد .

ولم أشأ أنا ذلك ، ولا شاءه كل الذين شاركوا في ثورة ٢٣  
يوليو . .

ولكن القدر شاء ، وتاريخ شعبنا ، والمرحلة التى يمر بها  
اليوم . .

## الجزء الثاني

العمل الإيجابي . الحماسة لا تكفى . الرصاص يتكلم . صراخ وعويل  
في الليل . ما أسهل أن يراق الدم . جدور في التاريخ . يا عزيز يا عزيز .  
الثولاذ ينهار . سوف يتبلور هذا المجتمع . أعصاب الناس وعقولهم .  
أغضبنا الجميع . هذه حدودنا وذلك واجبتنا .



ولكن ما الذى سريده أن نصنعه ٠٠ ؟

وما هو الطريق اليه ٠٠ ؟

الحق أنى فى معظم الأحيان كنت أعرف الإجابة على السؤال الأول وأخال أنى لم أكن وحدى المنفرد بهذه المعرفة ، وإنما كانت تلك المعرفة أملا انعقد عليه اجماع جيلنا كله .

أما الإجابة على السؤال الثانى « طريقنا الى هذا الذى نريد ، فأنا أعترف أنها تغيرت فى خيالى كما لم يتغير شيء آخر ، وأكاد أعتقد أيضا أنها موضوع الخلاف الأكبر فى هذا الجيل ٠٠ !

وما من شك فى أننا جميعا نحلم بمصر المتحررة القوية ٠٠ ذلك أمر ليس فيه خلاف بين مصرى ومصرى ٠٠

أما الطريق الى التحرر والقسوة ٠٠ فتلك عقدة العقد فى حياتنا .

ولقد واجهت تلك العقدة قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وظللت أواجهها بعد ذلك كثيرا حتى اتضح لى زوايا كثيرة كانت الظلال تسقط عليها فتخفيها ، وبدت أمام بصيرتى آفاق كان الظلام الذى ساد وطننا قرونا طويلة يلفها فلا أراها ٠٠ !

\*\*\*

ولقد أحسست منذ انبثق الوعى فى وجدانى ، ان العمل الايجابى يجب أن يكون طريقنا ٠٠ ولكن أى عمل ٠٠ ؟ !

ولقد تبدو كلمة « العمل الايجابى » على الورق كافية لتحل المشكلة ، ولكنها فى الحياة ، وفى الظروف العسيرة التى عاشها جيلنا وفى المحن التى كانت تنشب أطفالها فى مقدرات وطننا ، لم تكن كافية ٠٠ !

وفى فترة من حياتى كانت الحماسة هى العمل الايجابى فى تقديرى .

ثم تغير مثلي الأعلى في العمل الايجابى وأصبحت أرى أنه لا يكفى أن تضج أعصابى وحدى بالحماسة وانما على أن أنقل حماسى كى تضج بها أعصاب الآخرين •

وفى تلك الأيام قدت مظاهرات فى مدرسة النهضة ، وصرخت من أعماقى بطلب الاستقلال التام ، وصرخ ورأى كثيرون •• ولكن صراخنا ضاع هباء وبددته الرياح أصداء واهنة لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور ••

ثم أصبح العمل الايجابى فى رأى أن يجتمع كل زعماء مصر ليتحدوا على كلمة واحدة ، وطافت جموعنا الهائفة الشائرة ببيوتهم واحدا واحدا تطلب اليهم باسم شباب مصر أن يجتمعوا على كلمة واحدة •• ولكن اتحادهم على كلمة واحدة كان فجيرة لايمانى ، فان الكلمة الواحدة التى اجتمعوا عليها كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ •



وجاءت الحرب العالمية الثانية • وما سبقها بقليل على شبابنا.. فالهبتة وأشاعت النار فى خليجاته فبدأ اتجاهنا ، اتجاء جيل بأكمله ، يسير الى العنف •

وأعترف – ولعل النائب العام لا يؤخذنى بهذا الاعتراف – أن الاغتيالات السياسية توهجت فى خيالى المشتعل فى تلك الفترة على أنها العمل الايجابى الذى لا مفر من الاقدام عليه ، اذا كان يجب أن ننقذ مستقبل وطننا •

وفكرت فى اغتيال كثيرين وجدت أنهم العقبات التى تقف بين وطننا وبين مستقبله ، ورحت أعد جرائمهم ، وأضع نفسى موضع الحكم على أعمالهم وعلى الأضرار التى ألحقتها بهذا الوطن ، ثم أشفع لك كله بالحكم الذى يجب أن يصدر عليهم •

وفكرت فى اغتيال الملك السابق وبعض رجال الدين الذين كانوا يعبثون بمقدساتنا ••

ولم أكن وحدى فى هذا التفكير •



ولما جلست مع غيري انتقل بنا التفكير الى التدبير \*  
وما أكثر الخطط التي رسمتها في تلك الأيام ، وما أكثر الليالي  
التي سهرتها أعد العدة للأعمال الايجابية المنتظرة .

كانت حياتنا في تلك الفترة كأنها قصة بوليسية مثيرة .  
كانت لنا أسرار هائلة ، وكانت لنا رموز ، وكنا نتستر  
بالظلام وكنا نرصد المسدسات بجوار القنابل ، وكانت طلقات  
الرصاص هي الأمل الذي نحلم به ... !

وقمنا بمحاولات كثيرة على هذا الاتجاه ، ومازلت أذكر حتى  
اليوم انفعالاتنا ومشاعرنا ونحن نندفع في الطريق الى نهايته .

والحق أنني لم أكن في أعماقي مستريحا الى تصور العنف على  
أنه العمل الايجابي الذي يتعين علينا أن نتخذ به مستقبل وطننا .

كانت في نفسي حيرة ، تمتزج فيها عوامل متشابكة ، عوامل  
من الوطنية ومن الدين ومن الرحمة ومن القسوة ومن الايمان ومن  
الشك ومن العلم ومن الجهل ...

ورويدا رويدا وجدت فكرة الاغتيالات السياسية التي توهجت  
في خيالي ، تخبو جذورها وتفقد قيمتها في قلبي كتتحقيق للعمل  
الاجيبي المنتظر ...

وأذكر ليلة حاسمة في مجرى أفكارى وأحلامي في هذا  
الاتجاه .

كنا قد أعدنا العدة للعمل ...

واخترنا واحدا قلنا انه يجب أن يزول من الطريق ...  
ودرسنا ظروف حياة هذا الواحد ووضعنا الخطة بالتفاصيل .  
وكانت الخطة أن نطلق الرصاص عليه وهو عائد الى بيته في  
الليل ...

ورتبنا فرقة الهجوم التي تتولى اطلاق النار ، وربنا فرقة

أخراسة التي تحمي فرقة الهجوم وربنا فرقة تنظيم خطة الافلات  
الى النجاة بعد تنفيذ العملية بنجاح .  
وجاءت الليلة الموعودة وخرجت بنفسى مع جماعات التنفيذ .  
وسار كل شىء طبقا لما تصورناه .

\*\*\*

كان المسرح خاليا كما توقعنا ، وكمنت الفرق فى اماكنها التي  
حددت لها ، وأقبل الواحد الذى كان يجب أن يزول ، وانطلق نحوه  
الرصاص .

وانسحبت فرقة التنفيذ ، وغطت انسحابها فرقة الحراسة .  
وبدأت عملية الافلات الى النجاة ، وأدركت محرك سيارتى وانطلقت  
اغادر المسرح الذى شهد عملنا الايجابى الذى رتبناه .

وفجأة دوت فى سمعى أصوات صريخ وعويل ، ولولة امرأة  
ورعب طفل ، ثم استغاثة متصلة محمومة .

وكننت غارقا فى مجموعة من الانفعالات الشائنة ، والسيارة  
تندفع بى بسرعة .

ثم أدركت شيئا عجيبا .

كانت الأصوات مازالت تمزق سمعى .

والصراخ والعويل واللولة والاستغاثة المحمومة .

لقد كنت بعدت عن المسرح بأكثر مما يمكن أن يسرى الصوت .  
ومع ذلك بدا ذلك كله كأنه يلاحقنى ويطاردنى .

ووصلت الى بيتى واستلقيت على فراشى ، وفى عقلى حمى .  
وولى قلبى وضميرى غليان متصل .

وكانت أصوات الصراخ والعويل واللولة والاستغاثة مازالت  
تطرق سمعى .

ولم أنم طول الليل .

بقيت مستلقيا على فراشي في الظلام ، أشعل سيجارة وراء سيجارة وأسرح مع الحواطر الشائرة ، ثم تبدد كل خواطري على الأصوات التي تلاحقني .

• أكنت على حق ؟

وأقول لنفسي في يقين :

— دوافعي كانت من أجل وطني !

• أكانت تلك هي الوسيلة التي لا مفر منها ؟

وأقول لنفسي في شك :

— ماذا كان في استطاعتنا أن نفعل ؟

• أيمكن حقا أن يتغير مستقبل بلدنا اذا خلصناه من هذا الواحد أو من واحد غيره ، أم المسألة أعمق من هذا ؟

وأقول لنفسي في حيرة :

— أكاد أحس أن المسألة أعمق .

• اننا نحلم بمجد أمة ، فما هو الأهم : يمضي من يجب أن يمضي ، أم يجيء من يجب أن يجيء ؟

وأقول لنفسي واشتاعاعات من النور تتسرب بين الحواطر المزدحمة :

— بل المهم أن يجيء من يجب أن يجيء . . . اننا نحلم بمجد

أمة . ويجب أن يبني هذا المجد !

وأقول لنفسي ومازلت أتقلب في فراشي في الغرفة التي ملأها الدخان وتكاثفت فيها الانفعالات .

— واذن ؟

وأسمع هاتفًا يرد على :

— واذن ماذا ؟

وأقول لنفسي في يقين هذه المرة :

— اذن يجب ان يتغير طريقنا .. ليس ذلك هو العمل الايجابى  
الذى يجب ان نتجه اليه .. المسألة أعمق جذورا وأكثر خطورة  
وأبعد أغوارا .

وأحس براحة نفسية صافية ؛ ولكن الصفاء ما يلبث أن تمزقه  
هو الآخر أصوات الصراخ والعيول والولولة والاستغاثة ، تلك التى  
ما زالت أصدائها ترن فى أعماقى .

ووجدت نفسى أقول فجأة :

— ليتته لا يموت !

وكان عجبيا أن يطلع على الفجر ؛ وأنا أتمنى الحياة للواحد  
الذى تمنيت له الموت فى المساء ! .

وهرعت فى لهفة الى احدى صنف الصباح .. وأسعدنى أن  
الرجل الذى دبرت اغتياله .. قد كتبت له النجاة .

\*\*\*

ولكن تلك لم تكن المشكلة الاساسية .

وانما المشكلة الاساسية .. هى العثور على العمل الايجابى ا  
ومنذ ذلك الوقت بدأ تفكيرنا الحقيقى فى عمل شئ أعمق  
جذورا وأكثر خطورة وأبعد أغوارا .

وبدأنا نرسم الخطوط الأولى فى الصورة التى تحققت مساء  
٢٣ يوليو ؛ ثورة منبعثة من قلب الشعب ؛ حاملة لأمانيه ، مكملة  
لنفس الخطوات التى خطاها من قبل على طريق مستقبله .

ولقد بدأت هذا الحديث بسؤالين :

الأولهما : ما الذى نريد أن نصنعه ؟ .

والثانى : وما هو طريقنا اليه ؟ .

وقلت: ان الاجابة على السؤال الاول أمل انعقد عليه الأجماع .

أما السؤال الثانى : طريقنا الى الذى نريد أن نصنعه - فهو الذى أطلت فيه الكلام حتى وصلت الى يوم ٢٣ يوليو ! .

\*\*\*

ولكن أكان الذى حدث يوم ٢٣ يوليو هو كل ما نريد أن نصنعه ! ؟ .

المؤكد أن الجواب بالنفى ، فان تلك لم تكن الا الخطوة الأولى على الطريق . .

والحق أن فرحة النجاح فى ٢٣ يوليو لم تخدعنى ؛ ولم تصور لى أن الآمال قد تحققت ؛ وأن الربيع قد جاء . . بل لعل العكس هو الصحيح . .

لقد كانت كل دقيقة تحمل الى انتصارا جديدا للثورة ؛ تحمل الى فى نفس الوقت عبثا ضخما ثقيلا تلقيه بلا مبالاة فوق كتفى .

ولقد قلت فى الجزء الأول من هذا الحديث : «انى كنت أتصور قبل ٢٣ يوليو أن الأمة كلها متحفزة متأهبة ، وأنها لا تنتظر الا طليعة تفتحهم أمامها السور فتندفع الأمة وراءها صفوفها متراسة منتظمة زاحفة » .

وقلت : اننى تصورت دورنا على أنه دور الطليعة ؛ وكنت أتصور أنه لن يستغرق أكثر من بضع دقائق يلحق بنا بعدها زحف الصفوف المتراسة المنتظمة .

ورسمت أيضا فى ذلك الجزء صورة للخلافات والفوضى والأحقاد والشهوات التى انطلقت من عقالها فى تلك اللحظات ؛ كل منها يحاول بأنانيته أن يستغل الثورة لتحقيق أهداف بعينها .

ولقد قلت وسأظل أقول ان تلك كانت أقسى مفاجأة فى حياتى !

ولكن أشهد أنه كان يجب أن أتوقع أن يحدث الذى حدث .

لم يكن يمكن أن نضغط على زر كهربائى فنتحقق أحلامنا .

ولم يكن يمكن فى غمضة عين أن تزول رواسب قرون ومخلفات أجيال .

\*\*\*

ولقد كان من السهل وقتها - وما زال سهلا حتى الآن - أن ريق دماء عشرة أو عشرين أو ثلاثين ، فنضع الرعب والخوف في كثير من النفوس المترددة ونرغمها على أن تبتلع شهواتها وأحقادها وأهواءها .

ولكن أى نتيجة كان يمكن أن يؤدي إليها مثل هذا العمل ؟ ولقد كنت أرى أن الوسيلة لمواجهة أى مشكلة من المشاكل هو ردها الى أصلها ومحاولة تتبع الينبوع الذي بدأت منه .

وكان من الظلم أن يفرض حكم الدم علينا دون أن ننظر الى الظروف التاريخية التي مر بها شعبنا والتي تركت في نفوسنا جميعا تلك الآثار وصنعت منا ما نحن عليه الآن .

ولقد قلت مرة انى لا أريد أن أدعى لنفسي مقعد أستاذ التاريخ ، فذلك آخر ما يجرى اليه خيالى ، وقلت انى سأحاول محاولات تلميذ مبتدئ فى التاريخ .

\*\*\*

لقد شاء لنا القدر أن نكون على مفرق الطرق من الدنيا .

وكثيرا ما كنا معبرا للغزاة ؛ ومطمعا للمغامرين ، ومرت بنا ظروف كثيرة يستحيل علينا أن نعلل العوامل الكامنة فى نفوس شعبنا الا اذا وضعناها موضع الاعتبار .

وفى رايى أنه لا يمكن اغفال تاريخ مصر الفرعونى ؛ ثم تفاعل الروح اليونانى مع روحنا ؛ ثم غزو الرومان ، والفتح الاسلامى وموجات الهجرة العربية التي أعقبتها .

وفى رايى أيضا أنه لا يجب التوقف طويلا عند الظروف التي مرت علينا فى العصور الوسطى (١) ؛ فان تلك الظروف هي التي وصلت بنا الى ما نحن عليه الآن .

---

(١) التصود هنا بالعصور الوسطى : القرن العاشر الميلادى وما بعده ، ( القرن الرابع الهجرى ) ، حين بدأ الوهن يدب في جسم الدولة الإسلامية وتنازعتها مطامع الامراء وفي هذا التاريخ نفسه بدأت الغزوات الصليبية .

وإذا كانت الحروب الصليبية بداية فجر النهضة في أوروبا (١) فقد كانت بداية عهود الظلام على وطننا .

فلقد تحمل شعبنا وحده معظم أعباء الحروب الصليبية ؛ وخرج بعدها فقيرا ؛ معدما ، منهوك القوى .

(١) بدأت الحروب الصليبية أول مبادرات في أسبانيا حين انفرط عقد الدولة الأموية في الأندلس ، وتولعها « ملوك الطوائف » من حكام الولايات وأمراء المدن . . فرأى الأسبان فرصة سانحة للقضاء على الإسلام في تلك البلاد ، واستثاروا حماسة المسيحيين أبناء جلدتهم ومن جيرانهم في فرنسا ومن ذوي دينهم في إيطاليا وأواسط أوروبا لحرب المسلمين حتى يجلبوا عن شبه جزيرة الأندلس فنشأت المعارك الصليبية الأولى في تلك البقاع ، ثم استمرت . .

ثم انتقل صدى هذه الدعوة إلى فرنسا وإيطاليا وأواسط أوروبا . فإذا دعوة أخرى مماثلة ترددت هناك بقصد إجلاء المسلمين عن بيت المقدس وبإلزام الشام فينتظم تحت رايته الآلاف من ذوي العصبية المسيحية ويتخذون سبيلهم في البر والبحر إلى الأرض المقدسة ، ومن ثمة كانت تسميتها بالحروب الصليبية، على أن هذه الحروب التي بدأت في القرن العاشر استجابة لدعوة صليبية لم تلبث أن انقلبت إلى حرب توسع واستعمار ، أو إلى مغامرات فرسان يطلعون المجد أو يطمعون في الفخيمة ، فانظم تحت رايته الأفاقون والسفاكون والطامحون إلى الإمارة والمولعون بالمغامرة وتجارة الرقيق وأصحاب الشهوات ، إلى طوائف من ذوي الففلة الدينية الذين يستجيبون لكل دعوة باسم الدين طمعا في الثوبة دون بحث أو تحقيق وكان بين المغامرين في هذه الحروب ملوك وأمراء فرسان لا يؤمنون بالله خالق ولا بتورعون عن منكر ولا يعرفون فرق ما بين دين ودين ، وإنما هي معارك يخوضونها ليكسبوا مجدا وسمعة ، وليصيروا حكاما وأمراء حين لا مطمع لهم في الحكم والإمارة ببلادهم . أو ليتسبوا فيما يملكون فيصير لهم عرش هنا وعرش هناك .

وقد استطاع بعض أولئك المغامرين أن يحققوا بعض آمالهم ، فاننشئت على امتداد السواحل الشامية أو في قلب البادية بعض أمارات ، صليبية ، يجلس على عروشها بعض أولئك المغامرين لتنشأ بين بعضهم وبعض فيما بعد حروب ومنافسات دموية . لا يذكر فيها اسم الله ولا اسم الصليب . . . =

وفي نفس الوقت الذي هدته المعركة فيه ، شاعت له الظروف  
أن يعاني الذل تحت سنابك خيول الطغاة القادمين من المغول  
والشركس (١) .

كانوا يجيئون الى مصر عبيدا فيفتكون بأمرائهم ويصبحون  
هم الأمراء .

= وقد وقع بيت المقدس في يد بعض أولئك المحاربين الصليبيين وظلت تحت  
حكمهم مائة عام ، ثم استردها المسلمون على يد صلاح الدين ...

على أن وقوع بيت المقدس في أيديهم - وكانت هي الهدف والغاية - لم  
يحملهم على انتهاء الحروب الصليبية ، فظلت حملاتهم متوالية على سواحل مصر  
وتونس وغير مصر وتونس من بلاد المسلمين .

وكان على مصر أكبر العيب في رد هؤلاء الفزاة المعتدين ، وبكفاحها ارتد  
الصليبيون مدحورين فلم تثبت لهم قدم في بلد من بلادنا ، بعد حروب دامت ثلاثة  
قرون .. وقد كان اتصال أوروبا بالشرق في الحروب الصليبية ، سببا من أسباب  
النهضة الأوروبية التي استكملت مظاهرها في القرن الخامس عشر الميلادي ، فقد  
رأى الأوروبيون في بلادنا من صور الحضارة ما فتح أذهانهم وكشف الفشادة عن  
عيونهم وفتح لهم آفاقا من المعرفة ظهرت آثارها بينهم بعد قليل ، فكانت هذه  
الحروب خيرا لهم وشرا علينا .

(١) ولم تكد مصر تفرغ من هم الحروب الصليبية حتى كان المغول الزاحفون  
من وراء سد الصين قد بلغوا في تحفهم حدود بلادنا ، بعد أن دمروا في طريقهم  
الينا بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، ووطئت خيلهم بلاد الشام ، ولم يبق إلا  
أن ياكلونا كما أكلوا كل الأمم التي اعترضت سبيلهم منذ خرجوا من مجاهلهم  
يجتاحون البلاد بالويل والدمار ...

وقد أراد الله أن ينقذ الحضارة ويرد السلام الى الأرض بأيدي المصريين ،  
فاتصروا على المغول في موقعة « عين جالوت » من أرض فلسطين فلم تقم لهم بعد  
ذلك قائمة ، ولكن هذا الانتصار كان فاتحة لهم جديد ، فقد مكن للمماليك  
الشركس - وكان منهم قادة الجيش الذي انتصر على المغول - فصار اليهم عرش  
مصر يتوارثونه مملوكا عن مملوك ، ثلاثة قرون ، حتى غلبهم الغازي العثماني على  
ما كان في أيديهم من السلطة في القرن العاشر الهجري - السادس الميلادي -  
وفقدت مصر استقلالها وحريتها .



وكانوا يساقون اليها ممالك فلا تمضى عليهم فترة في البلد  
الطيب الوديع حتى يصبحوا ملوكا .

وأصبح الطفيلان والظلم والخراب ، طابع الحكم في مصر على  
عهدهم الذي عاشت مصر في مجاهله قرونا طويلة .

في تلك الفترة تحول وطننا الى غابة تحكمها وحوش ضارية .  
كان الممالك يعتبرونها غنيمة سائغة ، وكان الصراع الرهيب بينهم  
هو على نصيب كل منهم في الغنيمة .

وكانت أرواحنا ؛ وثوراتنا ، وأراضينا ؛ هي الغنيمة ! .

\* \* \*

وأحيانا حينما أعود الى تقليب صفحات من تاريخنا ؛ أحس  
بالأسى يمزق نفسى ازاء تلك الفترة التي تكون فيها اقطاع طاغ ؛ لم  
يجعل له من عمل الا مص دماء الحياة من عروقنا ، وأكثر من هذا ؛  
سحب بقايا الاحساس بالقوة والكرامة من هذه العروق ، وتوكل في  
اعماق نفوسنا تأثيرا يتعين علينا أن نكافح طويلا لكي نتغلب عليه .

والواقع أن تصوري لهذا التأثير يعطينى في كثير من الأحيان  
تفسيرا لبعض المظاهر في حياتنا السياسية .

أحيانا مثلا يخيّل الى أن كثيرين يقفون من الثورة موقف المتفرج  
الذي لا يعنيه من الأمر الا مجرد انتظار نتيجة معركة يتصارع فيها  
طرفان لا تربطه بأيهما علاقة .

وأحيانا أثور على هذا الوضع وأقول لنفسي ولبعض زملائي :

ولماذا لا يقدمون ؛ ولماذا لا يخرجون من المكامن التي وضعوا  
فيها أنفسهم ؛ ليتكلموا ويتحركوا ؟

ولا أجد تفسيرا لهذا الا راسب حكم الممالك .

كان الأمراء يتصارعون ؛ ويتطاحن فرسانهم في الشوارع  
ويهرع الناس الى بيوتهم يغلقونها عليهم بعيدين عن هذا الصراع  
الذي لا دخل لهم فيه . .

وأحيانا يخيّل الى أننا نلجأ الى خيالنا نكلفه أن يحقق لنا في إطار الوهم ما نريده ؛ ونستمتع نحن بهذا الوهم ونقعد به عن محاولة تحقيقه ..

ولم يتخلص كثيرون منا من هذا الشعور بعد ، ولم يهضموا أن البلد بلدهم وأنهم سادته وأصحاب الرأي والأمر فيه ..  
ولقد ظلت مرة أحاول أن أفهم عبارة كثيرا ما هتفت بها طفلا صغيرا ، حينما كنت أرى الطائرات في السماء ..  
لقد كنت أصيح :

« يا ربنا يا عزيز .. داعية تاخذ الانجليز » ..

ولقد اكتشفت فيما بعد أننا ورثنا هذه العبارة عن أجدادنا على عهد المماليك ؛ ولم تكن يومها منصبة على الانجليز ؛ وإنما حورناها نحن أو حورتها الرواسب الكامنة فينا والتي لم تتغير وإن تغير اسم الظالم ؛ فقد كان أجدادنا يقولون :

« يا رب يا متجلى .. اهلك العثماني ! » .

\*\*\*

وبنفس الروح التي لم تتغير جرى المعنى على لساننا وإن تغير اسم « الانجليز » باسم العثمانيين طبقا للتغيرات السياسية التي توالى على مصر بين العهدين .. !

ثم ماذا حدث لنا بعد عهد المماليك ؟

جاءت الحملة الفرنسية ، وتحطم الستار الحديدي الذي فرضه المفلول علينا ، وتدفقت علينا أفكار جديدة ، وتفتحت لنا آفاق لم يكن لنا بها عهد .

وورثت أسرة محمد على كل ظروف المماليك ، وإن حاولت أن تضع عليها من الملابس ما يناسب زى القرن التاسع عشر ..  
وبدأ اتصالنا بأوروبا والعالم كله من جديد .  
بدأت اليقظة الحديثة .. !

وبدأت اليقظة بأزمه جديدة ..

لقد كنا - فى رأى - أشبه بمريض قضى زمنا فى غرفة مغلقة؛ واشتدت الحرارة داخل الغرفة المغلقة ، حتى كادت أنفاس المريض تختنق ..

وفجأة هبت عاصفة حطمت النوافذ والأبواب ؛ وتدافعت تيارات الهواء الباردة تلسع جسد المريض الذى مازال يتصبب عرقا .

لقد كان فى حاجة الى نسمة هواء .. فانطلق عليه اعصار عات وأنشبت الحمى أظفارها فى الجسد المنهوك القوى .

هذا هو ماحدث لمجتمعنا تماما ؛ وكانت تجربة مخوفة بالمخاطر .

كان المجتمع الأوروبى قد سار فى تطوره بنظام ، واجتاز الجسر بين عصر النهضة من أعقاب القرون الوسطى الى القرن التاسع عشر خطوة خطوة ، وتلاحقت مراحل التطور واحدة أثر أخرى .

اما نحن ، فقد كان كل شىء مفاجئا لنا ..

كنا نعيش داخل ستار من الفولاذ فانهار فجأة ..

كنا قد انقطعنا عن العالم واعتزلنا أحواله ؛ خصوصا بعد تحول التجارة مع الشرق الى طريق رأس الرجاء الصالح (١) ؛ فإذا نحن نصبح مطمع دول أوروبا ؛ ومعبرا الى مستعمراتها فى الشرق والجنوب .

---

(١) كانت مصر الى القرن الخامس عشر الميلادى هى طريق المواصلات الوحيد بين أوروبا والشرق ، فكانت التجار الأوروبية تصل الى موانئنا فى البحر المتوسط ثم اتجهوا الى موانئ البحر الأحمر . ثم تستأنف رحلتها البحرية الى الهند والشرق الأقصى ، ولم يكن ثمة طريق غير هذا بين أوروبا والشرق إذ كانت السفن البحرية لم تعرف بعد طريقا تسلكه فى المحيط الأطلسي الى جنوب أفريقيا . تستغل من ثمة الى المحيط الهندي ، ثم اكتشفت البرتغال طريق رأس الرجاء الصالح فى القرن الخامس عشر ، فتحولت اليه تجارة أوروبا ، وبدأ عهد العزلة فى مصر .

وانطلقت علينا تيارات من الأفكار والآراء لم تكن المرحلة التي وصلنا إليها في تطورنا تؤهلنا لقبولها .

كانت أرواحنا ما زالت تعيش في آثار القرن الثالث عشر ؛  
وان سرت في نواحيها المختلفة مظاهر القرن التاسع عشر ؛  
القرن العشرين ..

وكانت عقولنا تحاول أن تلحق بقافلة البشرية المتقدمة التي تخلفنا عنها خمسة قرون أو يزيد ، وكان الشوط مضنيا والسباق مروعاً مخيفاً ..



وما من شك في أن هذا الحال هو المسئول عن عدم وجود رأى عام قوى متحد في بلادنا ، فإن الفارق بين الفرد والفرد الكبير ؛  
والفارق بين الجيل والجيل شاسع .

ولقد جاء على وقت كنت أشكو فيه من أن الناس لا يعرفون  
ماذا يريدون ، وأن اجماعهم لا ينقصد على طريق واحد يسرون فيه،  
ثم أدركت بعدها أنني أطلب المستحيل ؛ وأنتى أسقط من حسابى  
ظروف مجتمعنا ..

النا نعيش في مجتمع لم يتبلور بعد ؛ وما زال يفور ويتحرك  
ولم يهدأ حتى الآن أو يتخذ وضعه المستقر ويواصل تطوره التدريجي  
مع باقى الشعوب التي سبقتنا على الطريق .

وأنا أعتقد ، دون أن أكون في ذلك متملقاً لعواطف الناس ؛  
أن شعبنا صنع معجزة ، ولقد كان يمكن أن يضيع أى مجتمع تعرض  
لهذه الظروف التي تعرض لها مجتمعنا ؛ وكان يمكن أن تجرفه هذه  
التيارات التي تدفقت علينا ؛ ولكننا صمدنا للزلزال العنيف .

صحيح أننا كدنا نفقد توازننا في بعض الظروف ؛ ولكننا  
بصفة عامة ؛ لم نقع على الأرض .

أنا أنظر أحياناً الى أسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التي  
تعيش في العاصمة ..

- الأب مثلاً معمم من صميم الريف .
  - والأم سيدة منحدره من أصل تركى .
  - وأبناء الأسرة فى مدارس على النظام الانجليزى .
  - وفتياتها فى مدارس على النظام الفرنسى .
- كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين . . . أنظر الى هذا وأحس فى أعماقى بفهم للحيرة التى نقاسيها والتخبط الذى يفترسنا ، ثم أقول لنفسى :
- سوف يتبلور هذا المجتمع ، وسوف يتماسك ؛ وسوف يكون وحدة قوية متجانسة ؛ انما ينبغى أن نشد أعصابنا وتحمل فترة الانتقال .

تلك اذن هى الأصول التى انحدرت منها أحوالنا اليوم ، وهذه هى الينابيع التى تجرى منها أزمنا ، فاذا أضيف الى هذه الجذور الاجتماعية ؛ ظروف من أجلها طردنا فاروق ، من أجلها نريد تحرير بلادنا من أى جندى غريب — اذا أضيف هذا كله ، لخرجنا الى الافق الواسع الذى نعمل فيه ؛ والذى تهب عليه الرياح من كل ناحية ؛ وتزعج فى جنباته العواصف الهوج ، وتتوهج فيه البروق وتهدر الرعود ، والذى قلت انه من الظلم أن يفرض فيه علينا حكم الدم ؛ مع مراعاة كل هذه الظروف والملابسات .

واذن ما هو الطريق ؟

- وما هو دورنا على هذا الطريق .
- أما الطريق فهو الحرية السياسية والاقتصادية .
- وأما دورنا فيه فدور الحراس فقط ؛ لايزيد ولاينقص . .
- احراس لمدة معينة بالذات موقوتة بأجل .

وما أشبه شعبنا الآن بقافلة كان يجب أن تلزم طريقا معيناً ؛ وطال عليها الطريق ؛ وقابلتها المصاعب ، وانبرى لها اللصوص وقطاع الطرق ؛ وضللها السراب ، فتبعثرت القافلة ؛ كل جماعة منها شردت فى ناحية ، وكل فرد مضى فى اتجاه .

وما أشبه مهمتنا في هذا الوضع بدور الذي يمضي فيجمع  
الشاردين والتائهن ليضعهم على الطريق الصحيح ، ثم يتركهم  
يواصلون السير .

هذا هو دورنا ولا أتصور لنا دورا سواه .  
ولو خطر لي أننا نستطيع أن نحل كل مشاكل وطننا لكننا  
واهما وأنا لا أحب أن أتعلق بالأوهام .  
إننا لا نملك القدرة على ذلك ، ولا نملك الخبرة لنقوم به .

إنما كل عملنا أن نحدد معالم الطريق كما قلت ؛ وأن نجري  
وراء لشاردين فنردهم الى حيث ينبغي أن يبدأوا المسير ، وأن  
نلحق بالسائرين وراء السراب فنقنعهم بعيب الوهم الذي يجرون  
وراءه .

ولقد كنت مدركا منذ البداية أنها لن تكون مهمة سهلة ؛ وكنت  
اعلم مقدما أنها ستكلفنا الكثير من شعبيتنا .  
ولقد كان يجب أن نتكلم بصراحة ؛ وأن نخاطب عقول الناس  
وكان الذين سبقونا قد تعودوا أن يعطوا الوهم ، وأن يقولوا للناس  
ما يريد الناس أن يسمعوه !

وما أسهل الحديث الى غرائز الناس ؛ وما أصعب الحديث الى  
عقولهم . . . !

وغرائزنا جميعا واحدة ؛ أما عقولنا فموضع الخلاف والتفاوت  
وكان سياسة مصر في الماضي من الذكاء بحيث أدركوا هذه الحقيقة ؛  
فاتجهوا الى الغريزة يخاطبونها ، أما العقل فتركوه هائما على وجهه  
في الصحراء .

وكنا نستطيع أن نفعل نفس الشيء .

كنا نستطيع أن نملا أعصاب الناس بالكلمات الكبيرة التي لا  
تخرج عن حد الوهم والخيال ؛ أو تدفعهم وراء أعمال غير منظمة لم  
تعد لها العدة أو تتخذ لها أهبة ، أو كنا نستطيع أن نترك أصواتهم  
تبع من كثرة هتافهم :

« يا ربنا يا عزيز .. داهية تأخذ الانجليز »  
 تماما ؛ كما كان أجدادنا تبج أصواتهم أيام الممالك من كثرة  
 عتافهم :

« يا رب يا متجلى .. اهلك العثماني »  
 وبعدها لا شيء .. !

لكن أكانت تلك مهمتنا التي شاءها لنا القدر ؟  
 وما الذي كنا نستطيع أن نحققه فعلا اذا سرنا في هذا السبيل؟  
 ولقد قلت في الجزء الأول من هذا الحديث أن نجاح الثورة  
 يتوقف على ادراكها لحقيقة الظروف التي تواجهها ؛ وقدرتها على الحركة  
 السريية . وأضيف الآن الى ذلك أنها يجب أن تتحرر من آثار الألفاظ  
 البراقة ، وأن تقدم على ما تتصور أنه واجبها مهما كان الثمن من  
 شعبيتها ومن الهمم بحياتها والتصفيق لها .. !

والا فاننا نكون قد تخلينا عن أمانة الثورة وعن واجباتها .

\*\*\*

وكثيرا ما يجيئني من يقول لي :

-- لقد أغضبتم كل الناس ..

وعلى مثل هذه الملاحظة أرد دائما :

-- ليس غضب الناس هو المؤثر في الموقف ؛ وانما السؤال :  
 هل كان الذين أغضبناهم يعملون لصالح الوطن أو لغيره ؟ .. ؟

انا أدرك أننا أغضبنا كبار الملاك ..

لكن ، هل كان يمكن ألا نغضبهم ونترك تربة وطننا وفيينا من  
 يملك منها عشرات الألوف من الأفدنة وفيينا من لا يملك قطعة يدفن  
 فيها بعد أن يموت ؟ .. ؟

وأنا أدرك أننا أغضبنا الساسة القدماء .. !

ولكن هل كان يمكن ألا نغضبهم ونترك وطننا فريسة لشهواتهم  
وفسادهم وصراخهم على مغانم الحكم ؟

وأنا أدرك أننا أغضبنا عددا كبيرا من الموظفين ..

ولكن هل كان يمكن أن نعطي أكثر من نصف ميزانية الدولة  
مرتبات للموظفين ولا نستطيع - كما صنعنا بالفعل - أن نخصص  
أربعين مليوناً من الجنيهاً للمشروعات الانتاجية ؟

ماذا علينا لو كنا فتحنا - كما فعل غيرنا - خزائن الدولة ووزعنا  
ما فيها على الموظفين وليكن بعد ذلك الطوفان .. وليكن - أيضا -  
أن يجيء العام القادم فلا تستطيع الحكومة أن تدفع مرتبات موظفيها  
أصلا وأساسا .. !

وما كان أسهل أن نرضى هؤلاء جميعا وغيرهم .. ولكن ما هو  
الضمن الذي كان وطننا سيدفعه من آماله ومستقبله في مقابل هذا  
الرضا .. ؟

### \*\*\*

ذلك دورنا الذي حدده لنا تاريخ وطننا ؛ ولا مفر أمامنا من أن  
نقوم به مهما كان الثمن الذي قد ندفعه .

ولم نخطئ أبدا في فهم هذا الدور ؛ ولا في ادراك طبيعة  
الواجبات التي يلقيها علينا ..

تلك خطوات لاصلاح آثار الماضي ورواسبه ؛ مضينا فيها  
وتحملنا من أجلها كل شيء .

فلما جاء الكلام عن المستقبل قلنا اننا لا نملك هذا وحدنا .

من أجل ضمان الحياة السياسية في المستقبل ، ذهبنا الى عدد  
من قادة الرأي في مختلف الطبقات والعقائد وقلنا لهم :

- ضعوا للبلد دستورا يصون مقدساته .

وكانت لجنة وضع الدستور .



ومن أجل ضمان الحياة الاقتصادية فى المستقبل ذهبنا الى أكبر  
الأساتذة فى مختلف نواحي الخبرة وقلنا لهم :

- نظموا للبلد رخاءه وضمنوا لقمة العيش لكل فرد فيه •

وكان مجلس الانتاج ••

تلك حدودنا لم نتعداها ••

ازالة الصخور والعقبات من الطريق ، مهما كان الثمن ••  
واجبنا •

والعمل للمستقبل من كل نواحيه مفتوح لكل ذوى الرأى  
والخبرة فرض لازم عليهم ؛ وليس لنا أن نستأثر به دونهم ؛ بل ان  
مهمتنا تقتضى أن نسعى لجمعهم من أجل مستقبل مصر •• مصر  
القوية المتحررة •• !



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)



## الجزء الثالث

بعد غيبة ثلاثة شهور . الزمان والمكان . القدر لا يهزل . دوائر  
ثلاث . دور يبحث عن بطله . فلسطين ليست بلدا غريبا . لقاء مع فقر  
فلسطين . أغلى اسرار الطيران . افكار في ميسدان القتال . الارض  
والنجوم . نظرة الى مذكرات وايمان . الكفاح الواحد وعناصره . القوة  
بالارقام . مسئولياتنا في افريقيا . الحكمة . الحقيقة في الحج .



مرة ثالثة أعود الى فلسفة الثورة ..

أعود اليها بعد غيبه طويلة امتدت الى أكثر من ثلاثة شهور حافلة بالأحداث السريعة والتطورات المتلاحقة .

ثلاثة شهور حاولت خلالها أكثر من مرة أن أجِد الساعات التي أسجل فيها هذه الخواطر عن فلسفة الثورة ؛ فعصفت رياح الأحداث السريعة والتطورات المتلاحقة بهذه المحاولات وبعثرتها في الفضاء .

ولكن الرياح التي عصفت بمحاولات التسجيل لم تعصف بالخواطر نفسها ، وصحيح أن هذه الخواطر لم تَجِر على ورق ؛ ولكنها ظلت تدور في تفكيري وتتفاعل مع غيرها وتبحث عن تفاصيل أخرى ؛ سواء في ذاكرتي أو في الأيام ؛ تضيفها اليها لتكمل بها صورة صحيحة واضحة .

ولكن ما هي الصورة الصحيحة الواضحة التي أريد أن أرسمها هذه المرة ؟ .. وما هي علاقتها بالمحاولات التي قمت بها قبل ذلك ؛ في الجزء الأول ؛ ثم في الجزء الثاني من هذه الخواطر عن فلسفة الثورة ؟ ..

لقد تحدثت في الجزء الأول عن بداية الثورة في نفوسنا كأفراد ، وفي نفوسنا كنماذج عادية من شباب جيلنا ؛ وعن الثورة في تاريخ أمتنا ؛ وعن يوم ٢٣ يوليو في هذه الثورة ..

وفي الجزء الثاني تحدثت عن محاولات على طريق الثورة ؛ وكيف حدد لنا تاريخ شعبنا هذه الطريق ؛ سواء في نظرتنا المليئة بالعبر الى الماضي ، أو في تطلعنا المفعم بالأمل الى المستقبل .

واذن ؛ فقد كان حديثي في الجزأين السابقين عن الزمان ؛ ومن هنا أشعر بأن المكان يطالب بحقه ، واذن ؛ فليكن الحديث في هذه المرة عنه ..

وليس هدفي أن ادخل في بحث فاسفي معقد عن الزمان والمكان ؛ وإنما الذي لا شك فيه هو أن العالم كله ، وليس وطننا فحسب ؛ هو نتيجة لتفاعل الزمان والمكان .

وإذا كنت أقول أننا في بصويرنا لأحوال وطننا لا نستطيع أن ننسى عنصر الزمان ؛ فاننا أيضا ونسبة متساوية لا نستطيع أن ننسى عنصر المكان .

وبعبارة أبسط :

نحن الآن لا نستطيع أن نعود إلى القرن العاشر ؛ نرتدى ملابسنا التي تبدو لعيوننا مضحكة ، وننزه في أفكاره التي تظهر أمامنا اليوم أطيافا من الظلام خلت من كل شعاع .

وكذلك نحن الآن لا نستطيع أن نتصرف على أننا قطعة من الاسكا المتعلقة بأقصى أصقاع الشمال ، أو على أننا جزيرة « ويك » النائية المهجورة في تيه الباسفيك .

الزمان ، اذن ، يفرض علينا تطوره . . .

والمكان أيضا يفرض علينا حقيقته .

ولقد حاولت مرتين أن أمضى مع الزمان ، فلأحاول هذه المرة أن أتجول في عالم المكان .

وثمة شيء يجب أن نتفق عليه أولا وقبل أن ننسى في هذا الحديث ذلك هو تعريف حدود المكان بالنسبة لنا .

ان قال لى أحد أن المكان بالنسبة لنا هو هذه العاصمة التي نعيش فيها ، فاني أختلف معه .

وان قال لى أحد أن المكان بالنسبة لنا هو حدود بلادنا السياسية فاني أيضا أختلف معه .

ولو كان الامر كله محصورا في حدود عاصمتنا أو في حدود بلادنا السياسية ، لهان الامر ، ولأقفلنا على أنفسنا كل الأبواب ، وعشنا في برج عاجى نحاول أن نبتعد به بقدر ما نستطيع عن العالم ومشاكله وحروبه وأزماته ، تلك التي تقتحم علينا أبواب بلادنا وتؤثر فينا دون أن يكون لنا فيها دخل أو نصيب .

ولقد مضى عهد العزلة . .

وذهبت الأيام التي كانت فيها خطوط الاسلاك الشائكة التي تخطط حدود الدول تفصل وتمزل .

ولم يعد مفر أمام كل بلد من أن يدير البصر حوله خارج حدود بلاده ليعلم من أين تغيثه التيارات التي تؤثر فيه ، وكيف يمكن أن يعيش مع غيره وكيف .. وكيف ..

ولم يعد مفر أمام كل دولة من أن تجيل البصر حولها تبحث عن وضعها وظروفها في المكان ، وترى ماذا تستطيع أن تفعل فيه وما هو مجالها الحيوى ، وميدان نشاطها ودورها الايجابى في هذا العالم المضطرب ..

وانا اجلس احيانا في غرفة مكتبى واسرح بخواطرى في نفس هذا الموضوع اسائل نفسى :

— ماهو دورنا الايجابى في هذا العالم المضطرب ، وأين هو المكان الذى يجب أن نقوم فيه بهذا الدور .. ؟

وأستعرض ظروفنا وأخرج بمجموعة من الدوائر لا مفر لنا من أن يدور عليها نشاطنا وأن نحاول الحركة فيها بكل طاقتنا .

أن القدر لا يهزل ، ليست هناك أحداث من صنع الصدفة . ولا وجود يصنعه الهباء .

ولن نستطيع أن ننظر الى خريطة العالم نظرة بلهاء لا ندرك بها مكاننا على هذه الخريطة ودورنا بحكم هذا المكان .

أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلا وليس مجرد كلام .. ؟

أيمكن أن نتجاهل أن هناك قارة افريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد .. ؟

أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالما اسلاميا تجمعا وأباه روابط لاتقربها العقيدة الدينية فحسب ، وانما تشدها حقائق التاريخ ؟

وكما قلت مرة : أن القدر لا يهزل ..

فليس عبثاً أن بلدنا في جنوب غرب آسيا يلاصق الدول العربية وتشتبك حياته بحياتها .

وليس عبثاً أن بلدنا يقع في شمال شرق أفريقيا ، ويطل من عل على القارة السوداء التي يدور فيها اليوم أعنف صراع بين مستعمرها البيض وأهلها السود من أجل مواردها التي لاتحد .

وليس عبثاً أن الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي الذي أغار عليه المغول الذين اكتسحوا عواصم الإسلام القديمة - تراجع الى مصر وآوى اليها فحمته مصر وأنقلته عندما ردت غزو المغول على أعقابها في عين جالوت (١) .

كل هذه حقائق أصيلة ذات جذور عميقة في حياتنا ، لانستطيع مهما حاولنا أن ننساها أو نفر منها .



ولست أدري لماذا أذكر دائماً ، عندما أصل الى هذه المرحلة من افكاري وأنا جالس وحدي في غرفتي شاردة مع الافكار . قصة مشهورة للشاعر الايطالي الكبير « لويديجي بيراندلو » أسماها ( ست شخصيات تبحث عن ممثلين ) . . . ؟!

أن ظروف التاريخ مليئة بالأبطال الذين صنعوا لأنفسهم أدوار بطولية مجيدة قاموا بها في ظروف حاسمة على مسرحه .

---

(١) دمر المغول في طريقهم اليها كل مقومات الحضارة في البلاد التي وطنتها أقدامهم ، ثم دمرتهم مصر ، فصار عليها وحدها أن تحمي تراث الحضارة وأن تنشر آثارها فقد ذهب كل التراث ، في كل البلاد ، ولم يبق الا مصر .

وقد عرفت مصر واجبها في هذا الشأن ، فاعادت الخلافة العباسية ، وقوتها ، وحفظت لها رسومها وحققها في التوجيه والنصح والارشاد ، ولاامت بين حالة مصر السياسية في ذلك الزمان وبين واجبها هذا الجديد ، فلم تلبث أن صارت حاضرة الاسلام ، عليها عبء التوجيه العام في كل بلاد المسلمين ، ومن علومها وفنونها وحضارتها يقتبس المسلمون في شتى بقاع الارض ، وباسمها يتقنى كل عربي وكل مسلم في الشرق والغرب .



وان ظروف التاريخ أيضا مليئة بأدوار البطولة المجيدة التي لم نجد بعد الإبطال الذين يقومون بها على مسرحه ، ولست أدري لماذا يخيل الى دائما أن في هذه المنطقة التي نعيش فيها دورا هائما على وجهه يبحث عن البطل الذي يقوم به ، ثم لست أدري لماذا يخيل الى أن هذا الدور الذي أرهقه التجوال في المنطقة الواسعة الممتدة في كل مكان حولنا ، قد استقر به المطاف متعبا منهوك القوى على حدود بلادنا يشير البنا أن نتحرك ، وأن ننهض بالدور ونرتدى ملابسه فان أحدا غيرنا لا يستطيع القيام به .

وأبادر هنا فأقول أن الدور ليس دور زعامة .

انما هو دور تفاعل وتجاوب مع كل هذه العوامل ، يكون من شأنه تفجير الطاقة الهائلة الكامنة في كل اتجاه من الاتجاهات المحيطة بها ويكون من شأنه تجربة لخلق قوة كبيرة في هذه المنطقة ترفع من شأن نفسها وتقوم بدور ايجابي في بناء مستقبل البشر .



وما من شك في أن الدائرة العربية هي أهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا .

فلقد امتزجت معنا بالتاريخ وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الازمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الفزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك (١) .

١ - ( أ ) حين زحف الصليبيون على بلادنا ، كانت فلسطين ، ولبنان ، وسورية ، ومصر ، وشمال افريقية ، هدفا مشتركا من أهداف الاستعمار الصليبي .

(ب) وحين زحف المغول على بلاد المسلمين والعرب ، كانت مصر هدف المغول الأخير ، بعد أن دمرت بغداد ووطئت بلاد الشام جميعا .

(ج) وحين اغار العثمانيون على بلادنا وسلبونا استقلالنا في القرن السادس عشر ، فعلوا مثل ذلك بالشام ، والعراق ، والجزيرة العربية ، وشمال افريقية ، الى حدود مراكش .

وامتزجت هذه الدائرة معنا أيضا بالدين ، فنقلت مراكز الاشعاع الديني ، في حدود عواصمها ، من مكة الى الكوفة ، ثم الى القاهرة (١) ثم جمعها الجوار في اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية .

وانا اذكر فيما يتعلق بنفسى أن طلائع الوعي العربى بدأت تتسلل الى تفكيرى وأنا طالب في المدرسة الثانوية اخرج مع زملائي في اضراب عام في الثانى من شهر ديسمبر من كل سنة احتجاجا على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطنيا قوميا في فلسطين ، اغتصبته ظلما من أصحابه الشرعيين (٢) .

وحين كنت أسائل نفسى في ذلك الوقت : لماذا اخرج في حماسة ولماذا اغضب لهذه الارض التى لم أرها ؟ لم أكن أجد في نفسى سوى اصدقاء العاطفة .

---

= (د) وحين بدأ الاستعمار الأوروبى - بمصطلحاته الجديدة - بيسط سلطانه على بلادنا ، لم يستثن بلدا واحدا من بلاد العرب .

لقد كنا جميعا هدفا مشتركا في كل مراحل التاريخ .

(١) نشأ الاسلام بمكة ثم هاجر النبى عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، فصارت هى عاصمة الاسلام في عصر النبى والخلفاء الثلاثة من بعده ، ثم صارت الكوفة هى عاصمة الاسلام في خلافة على - ثم صارت دمشق ، ثم صارت بغداد ، ثم انتقلت الخلافة والخليفة الى القاهرة في القرن السابع الهجرى ، بعد أن دمر المغول بغداد .

(٢) كان أول عدوان بريطانيسا على حق العرب في فلسطين ، ان وزيرها « بلفور » وعدد اليهود في ٢ ديسمبر سنة ١٩١٧ ، بأن يتيح لهم وطنيا قوميا في فلسطين ثمنا لما أدوا لبريطانيا من خدمات في الحرب العالمية الاولى ولكنه ثمن يؤديه من غير مايملك ..

ومنذ ذلك التاريخ ، اعتبر يوم ٢ ديسمبر من كل عام ، يوما مشئوما من أيام العرب يملنون فيه سخطهم على غدر بريطانيا ، وحرصهم على الاحتفاظ بفلسطين عربية لاهلها .

تم بدأ نوع من الفهم يخالغ تفكيرى حول هذا الموضوع عندما أصبحت طالبا في الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة ، وأدرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التي جعلت منها في القرن الاخير فريسة سهلة تتخطفها أنياب مجموعة من الوحوش الجائعة !

ثم بدأ الفهم يتضح وتكشف الاعمدة التي تتركز عليها حقائقه لما بدأت أدرس وأنا طالب في كلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل .

ولما بدأت أزمة فلسطين كنت مقتنعا في أعماقي بأن القتال في فلسطين ليس قتالا في أرض غريبة ، وهو ليس انسياقا وراء عاطفة ، وإنما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس .



وأذكر يوما ، عقب صدور قرار تقسيم فلسطين في شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، عقد فيه الضباط الأحرار اجتماعا (١) واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة في فلسطين ، وذهبت في اليوم التالي أطرق باب بيت الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين ، وكان ما يزال يعيش في الزيتون وأقول له :

— انكم في حاجة الى ضباط يقودون المعارك ويدربون المتطوعين ، وفي الجيش المصري عديد كبير من الضباط يريد أن يتطوع ، وهم تحت أمرك في أى وقت تشاء ..

وقال لى الحاج أمين الحسيني أنه سعيد بهذه الروح . ولكنه يرى أن يستأذن الحكومة المصرية قبل أن يقول شيئا .

---

(١) لما اشتدت مقاومة العرب في فلسطين للاستعمار الصهيوني ، أرادت بريطانيا أن تعالج الامر على وجه ما ، لتكسر حدة المقاومة العربية ، فاستصدرت قرارا من الامم المتحدة في سنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، فابى العرب أن تمزق وحدة بلادهم ، وازدادوا هياجا وثورة وثارت ثورتهم البلاد العربية جميعا .. وخلال هذه الثورة ، كان الضباط الاحرار في مصر يدربون أمرهم ليقوموا بواجبهم في الكفاح من أجل عروبة فلسطين .

ثم قال الحاج أمين :

- سوف أعطيك ردى بعد استئذان الحكومة .

وعدت اليه بعد أيام ، وكان رده الرد الذى حصل عليه من الحكومة ، هو الرفض .

ولم نسكت ..

وبعدها كانت مدفعية أحمد عبده العزيز تذك المستعمرات اليهودية جنوبي القدس . وكان قائد المدفعية هو كمال الدين حسين عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار التى تحولت اليوم الى مجلس قيادة الثورة .

وأذكر سرا آخر كان ذات يوم أغلى أسرار الضباط الأحرار :

كان حسن ابراهيم قد سافر الى دمشق ، واتصل ببعض ضباط فوزى القاوقجي (١) . وكان القاوقجي يقود قوات التحرير العربية ، ويستعد لمعركة حاسمة فاصلة فى المنطقة الشمالية من فلسطين .

ووضع حسن ابراهيم وعبد اللطيف البغدادي خطة جريئة للقيام بعمل حاسم فى المعركة التى تستعد لها قوات التحرير .

وكانت الخطوط البارزة فى تلك الخطة هى أن قوات التحرير العربية لا تملك طيرانا يساعدها فى المعركة ويرجح النصر الى كفتها ولو أنها حصلت على معونة من الجو بضرب مركز فوق ميدان العملية ، لكن ذلك عاملا فاصلا ، ولكن من أين لقوات التحرير العربية بالطيران لتحقيق هذا الحلم ؟

ولم يتردد حسن ابراهيم وعبد اللطيف البغدادي ، وانما قررا أن يقوم سلاح الطيران المصرى بهذه المهمة .

---

(١) هو مجاهد عربى ، أصله من لبنان ، وكان له بلاء مشهود فى معارك فلسطين وهى لم تزل تحت الانتداب البريطانى ثم كان قائدا لقوات التحرير العربية فى حرب فلسطين .

ولكن كيف ؟

ولم تكن مصر قد دخلت حرب فلسطين ، وكان جو الرقابة على القوات المسلحة - بما فيها سلاح الطيران - حذرا متيقظا .  
ومع ذلك لم يجد اليأس ثغرة ينفذ منها الى تفاصيل الخطة .

بدأت في مطار سلاح الطيران حركة عجيبة .. وبرز فيهما نشاط واسع لاصلاح طائرات واعدادها ، وجهود واضحة في التدريب سرت كالحمي في نفوس عدد من الطيارين .  
ولم يكن هناك الا قلائل يعرفون السر .

يعرفون أن الطائرات وقوادها قد أعدوا ليوم تجيء فيه من سوريا اشارة سرية ، فينطلقوا بعدها الى الجو ليشتركوا بكل قوتهم في معركة حاسمة على الارض المقدسة . ثم يتجهون بعد ذلك الى مطار قرب دمشق ، ينزلون فيه ويتربصون الاحوال في مصر ، ويتعرفون صدى هذه الحركة التي أقدموا عليها ، ثم يقررون كيف يتصرفون بعدها !

وكان أرجح الاحتمالات أن يحاكم كل طيار اشتراك في هذه العملية وأذكر أن كثيرين كانوا قد رتبوا أمورهم على أن الظروف ربما تحول بينهم وبين العودة الى الوطن قبل سنوات قد تطول وتمتد .

وكان شعورنا في اللجنة التنفيذية للضباط الاحرار - والمؤكد أن نفس الشعور كان يراود خواطر كل الطيارين المشتركين في السر الكبير - أن هذه المخاطر الجريئة لم تكن حبا في المغامرة ، ولا كانت رد فعل للعاطفة في نفوسنا ، انما كانت وعيا ظاهرا لايماننا بأن رفع ليست آخر حدود بلادنا ، وأن نطاق سلامتنا يقضى علينا أن ندافع عن حدود أخواننا الذين شاءت لنا أحكام القدر أن نعيش معهم في منطقة واحدة .

ولم تتم الخطة يومها .. لأننا لم نلتق الاشارة السرية من سوريا .

وقضت الظروف بعدها أن تدخل الجيوش العربية كلها الحرب في فلسطين .

ولست أريد أن أدخل في تفاصيل حرب فلسطين الآن ،  
فذلك بحث تتشعب فيه الأحاديث ، وإنما يعنيني من حرب فلسطين  
درس عجيب .

لقد دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحدة من الحماسة ،  
واذن فهذه الشعوب جميعا تشارك في شعورها وفي تقديرها  
لحدود سلامتها .

ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المראה والهيئة واذن فهي  
جميعا ، كل منها في بلادها ، قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها  
نفس القوى التي ساقتها الى الهزيمة ونكست رأسها بالذل والعار .  
ولقد خلوت الى نفسى مرات كثيرة في خنادق عراق المنشية (١)  
وفي جحورها .

وكنت يومها أركان حرب الكتبية السادسة التي كانت تقف  
في ذلك القطاع وتدافع عنه أحيانا وتهاجم في أكثر الأحيان .  
وكنت أخرج الى الاطلال المحطمة من حولى بفعل نيران العدو .  
ثم أصبح بعيدا مع الخيال .

وأحيانا كانت الرحلة مع الحيسال تمضى بى بعيدا الى آفاق  
النجوم ، فأطل من هذا الارتفاع الشاهق على المنطقة كلها .  
وكانت الصورة تبدو في ذلك الوقت واضحة أمام بصيرتى .  
هذا هو المكان الذى نقيب محاصرين فيه هذه مواقع كتيبتنا ،  
وهذه مواقع الكتائب الأخرى المشتركة معنا على الخط .  
وهذه قوات العدو تحيط بنا .

---

(١) منطقة الفالوجة ، وكان لحاميتها بلاء عظيم في الدفاع عنها ، فقد صمدت  
لحصار العدو أشهر بلا زاد ولا اعتاد ، حتى ضاق المحاصرون ذرعا ولم ينفذ صبر  
الحصورين أو تضعف نفوسهم ، وقد عرفت مصر لا بطل الفالوجة بلاءهم في هذه  
المعركة فاستقبلتهم استقبالا عظيما وكان أسمهم على كل لسان في مصر وفي كل  
بلد عربى ... وكان بينهم جمال عبد الناصر ..

وهذه قوات أخرى لنا .. هي أيضا محاصرة لا تستطيع الحركة  
الواسعة وان بقي لها مجال للمناورة المحدودة .

ان الظروف السياسية المحيطة بالعاصمة التي نتلقى منها  
الأوامر تحيطها بحصار وتلحق بها عجزا أكثر من الذي تصنعه بنا  
نحن القابعون في منطقة الفالوجة .

ثم هذه قوات اخواننا في السلاح وفي الوطن الكبير وفي  
المصلحة المشتركة وفي الدافع الذي جعلنا نهرول الى أرض فلسطين .

هذه هي جيوش اخواننا .. جيشا جيشا .. كلها هي أيضا  
محاصرة .. بفعل الظروف التي كانت تحيط بها والتي كانت تحيط  
بحكوماتها .. لقد كانت جميعا تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا  
ارادة الا بقدر ما تحركها أيدي اللاعبين .

وكانت شعوبنا جميعا تبدو في مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة  
محبوكة أخفت عنها عمدا حقيقة ما يجري ، وضلللتها حتى عن  
وجودها نفسه .

وأحيانا كنت أهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الارض ،  
فأحس أنني أدافع عن بيتي وعن أولادي ، ولا تعينني الحدود الموهومة  
والعواسم والدول والشعوب والتاريخ .

وكان ذلك عندما التقى في تجوالى فوق الاطلال المحطمة ببعض  
أطفال اللاجئين الذين سقطوا في براثن الحصار بعد أن خربت  
بيوتهم وضاع كل ما يملكون ، وأذكر بينهم طفلة صغيرة كانت في  
مثل عمر ابنتي ، وكنت أراها وقد خرجت الى الخطر والرصاص  
الطائش مندفعة أمام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة عيش  
أو خرقة قماش .

وكنت دائما أقول لنفسي :

— قد يحدث هذا لابنتي .

كنت مؤمنا بأن الذي يحدث لفلسطين كان يمكن أن يحدث —  
ومازال احتمال حدوثه قائما — لأي بلد في هذه المنطقة مادام مستسلما  
للعوامل والعناصر والقوى التي تحكمه الآن .

ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك في فلسطين وعدت الى الوطن ، كانت المنطقة كلها في تصوري قد أصبحت كلا واحدا .

وأيدت الحوادث التي جرت بعد ذلك هذا الاعتقاد في نفسي .

كنت أتابع تطورات الموقف فيها فأجد أصداء يتجاوب بعضها مع بعض .

كان الحادث يقع في القاهرة فيقع مثيل له في دمشق غدا ، وفي بيروت ، وفي عمان ، وفي بغداد وغيرها .

وكان ذلك كله طبيعيا مع الصورة التي رسمتها التجارب في نفس منطقة واحدة ، ونفس الظروف ، ونفس العوامل . بل ونفس القوى المتألبة عليها جميعا .

وكان واضحا أن الاستعمار هو أبرز هذه القوى .

حتى إسرائيل نفسها لم تكن الا اثرا من آثار الاستعمار .

فلولا أن فلسطين وقعت تحت الانتداب البريطاني لما استطاعت الصهيونية أن تجد العون على تحقيق فكرة الوطن القومي في فلسطين ولظلت هذه الفكرة خيالا مجنونا ليس له أى أمل في واقع .

وأنا أكتب هذه الحواطر وأمامي مذكرات حاييم وايزمان رئيس جمهورية إسرائيل ومنشئها الحقيقي وهي المذكرات التي نشرها في كتابه المشهور « التجربة والخطأ » وثمة عبارات معينة ذات طابع خاص تستوقفني فيه .

يستوقفني قول وايزمان :

« لقد كان يجب أن تساعدنا دولة كبرى ، وكانت في العالم دولتان تستطيع كل منهما مساعدتنا : ألمانيا وبريطانيا .

أما ألمانيا فقد آثرت أن تبتعد عن كل تدخل .

وأما بريطانيا فقد أحاطتنا بالرعاية والعطف .

ويستوقفني بعد ذلك قول وايزمان :



« ولقد حدث في المؤتمر الصهيوني السادس الذي عقدناه في سويسرا أن وقف هرتزل (١) يعلن يهود الدنيا أن بريطانيا العظمى، وبريطانيا العظمى وحدها دون كل دول الارض ، قد اعترفت باليهود كأمة ذات كيان مستقل ، منفصلة عن غيرها .

واننا نحن اليهود خليقون بأن يكون لنا وطن ، وبأن تكون لنا دولة ، وقرأ هرتزل خطابا من اللورد لا ترسون نائبا عن الحكومة البريطانية يتضمن هذا المعنى . وكان هذا الخطاب يقدم لنا أرض أوغندا لتكون وطننا قوميا .

وقرر أعضاء المؤتمر قبول هذا العرض .

ولكننا بعد ذلك كتمنا أنفاسه في المهد ودفناه دون ضجة .

وعادت بريطانيا تريد أن تسترضينا .

وعلى أثر هذا العرض ، ألفتنا لجنة من عدد كبير من علماء اليهود سافروا الى مصر لدراسة منطقة سيناء وقابلوا في القاهرة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر الذي أظهر كل العطف على أمانينا في الوطن القومي .

ولكن اللجنة لم تجد في منطقة سيناء ما يفي بالفرض الذي كنا من أجله نريد الوطن القومي .

ولقد قابلت بعدها لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذي يادر بسؤالى على الفور :

— لماذا لم تقبلوا اقامة الوطن القومي في أوغندا ؟ .

وقلت لبلفور :

— ان الصهيونية حركة سياسية قومية ، هذا صحيح ، ولكن الجانب الروحي منها لا يمكن إغفاله ، وأنا واثق تمام الوثوق أننا

---

(١) هرتزل او هرزل : صاحب فكرة الصهيونية الاولى . انظر كتاب . هذه هى الصهيونية . من مجموعة « اخترنا لك » .

إذا اغفلنا الجانب الروحي فإننا لن نستطيع تحقيق الحلم السياسي القومي ..

ثم قلت لبلفور :

— ماذا تقول لو أن أحدا قال لك خذ باريس بدلا من لندن ، هل تقبل .. ؟

ويستوقفني أيضا قول وايزمان :

« وعدت الى لندن في خريف سنة ١٩٢١ وكان الغرض من رجوعي أنني دعيت الى لندن لأشرف على كتابة مشروع وثيقة الانتداب البريطاني في فلسطين » .

وكان يجب أن تعرض هذه المسودة على عصبة الأمم لتصدر بها قرارا بعد أن وافق مؤتمر سان ريمو على فكرة الانتداب نفسها .

وكان لورد كيرزون قد ولى وزارة الخارجية محل بلفور ، وكان هو المسئول عن وضع مشروع الوثيقة .

وكان معنا في لندن القانوني المشهور ابن كوهين ، وهو من أقدر واضعي الصيغ القانونية في العالم ، وكان إيريك فورييس أدام سكرتير كيرزون يتعاون معنا .

ووقع بيننا وبين كيرزون خلاف أول وأخير :

كتبنا نحن في مشروع الوثيقة عبارة أردنا أن نقيّد بريطانيا فيها بوعد بلفور ، وبأن تكون خططها في فلسطين قائمة على أساس الوطن القومي لليهود ، وكان نص العبارة التي كتبناها نحن :

« والاعتراف بحقوق اليهود التاريخية في فلسطين » .

وقال كيرزون أنه يقترح تخفيف العبارة حتى لا يهيج العرب عند قراءتها ، وقال أنه يرى أن تكون كما يلي :

« والاعتراف بصلات اليهود وعلاقاتهم التاريخية في فلسطين »

وكنت أود أن أستطرد طويلا مع وايزمان في « التجربة

والخطأ» ولكننا جميعا نعلم أن هذه الحوادث القديمة كانت الجرائم الأولى للمضاعفات التي مزقت كيان فلسطين ودمرت وجودها ... !

\*\*\*

وأعود الى الذي كنت أقوله من أن الاستعمار هو القوة الكبرى التي تفرض على المنطقة كلها حصارا قاتلا غير مرئي ، أقوى وأقسى مائة مرة من الحصار الذي كان يحيط بخنادقها في «الفالوجة» وجيوشنا جميعا وبحكوماتنا في العواصم التي كنا نتلقى منها الأوامر .

ولقد بدأت بعد أن استقرت كل هذه الحقائق في نفسي ، وأومن بكفاح واحد مشترك ، وأقول لنفسي :

— مادامت المنطقة واحدة ، وأحوالها واحدة ، ومشاكلها واحدة ، ومستقبلها واحد ... والعدو واحد مهما حاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة — فلماذا تتشتت جهودنا ... ؟

ثم زادتنى تجربة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته .

فقد بدأت خبايا الصورة تتكشف ، والظلام الذي كان يحيط بتفاصيلها ينقشع .

وأعترف اني كذلك بدأت أرى العقبات الكبرى التي تسد الطريق الى الكفاح الواحد ولكني بدأت أومن بأن هذه العقبات نفسها ينبغي أن تزول لأنها من صنع ذلك العدو الواحد نفسه .

ولقد بدأت أخيرا في اتصالات سياسية من أجل توحيد الكفاح مهما كانت وسيلته ، وخرجت بعد شهر من هذه الاتصالات بنتيجة هامة هي أن العقبة الأولى في طريقنا هي ( الشك ) وكان واضحا أن بذور هذا الشك قد بذرها في نفوسنا ذلك العدو الواحد نفسه لكي يحول بيننا وبين الكفاح الواحد ... !

وأذكر أني جلست في الأيام الأخيرة أتحدث مع أخ من سياسة العرب : وكان معنا زميل له ، وبدأت أتكلم ، وبدأ هو يرد على الذي أقوله ...

وكان يقول العبارة ثم يلتفت الى زميله ليرى اثر الذى يقوله فى وجهه ، يدل أن يحاول استكشاف اثره فى أنا .

وبدأت أقول له : تغلب على كل ما فى نفسك من شكوك ، وقل لى كل ما فى قلبك ، وأنظر الى وفى عيني ولا تدر وجهك ٠٠ !

ولست أريد بذلك أن أهون من أمر العقبات التى تحول بيننا وبين توحيد الكفاح ، فلا شك أن بعضها معقد تمتد أصوله الى طبيعة البيئة وظروف شعوبها التاريخية والجغرافية ولكن المؤكد أنه يمكن مع شيء من المرونة القائمة على بعد النظر ، لا على التفريط ، ايجاد الخط الذى يستطيع الجميع أن يقفوا فيه ، بلا تخرج ، وبلا عنت لمواجهة الكفاح الواحد .

\*\*\*

ولست أشك دقيقة أن كفاحنا الواحد يمكن أن يعود علينا وعلى شعوبنا بكل الذى نريده لها ونتمناه .

ولسوف أظل دائماً أقول : أننا أقوىاء ولكن الكارثة الكبرى أننا لا ندرك مدى قوتنا .:

اننا نخطئ فى تعريف القوة ، فليست القوة أن تصرخ بصوت عال ، انما القوة أن تتصرف إيجابياً بكل ما تملك من مقوماتها .

وحين أحاول أن أحلل عناصر قوتنا لا أجد مقراً من أن أضع ثلاثة مصادر بارزة من مصادرها يجب أن تكون أول ما يدخل فى الحساب :

أول هذه المصادر أننا مجموعة من الشعوب المتجاورة المترابطة بكل رباط مـادى ومعنوى يمكن أن يربط مجموعة من الشعوب ، وأن لشعوبنا خصائص ومقومات وحضارة انبعثت فى جوها الأديان السماوية المقدسة الثلاثة ، ولا يمكن قط اغفالها فى محاولة بناء عالم مستقر يسوده السلام .

هذا هو المصدر الأول .

أما المصدر الثانى فهو أرضنا نفسها ومكانها على خريطة .

العالم ، ذلك الموقع الاستراتيجي الهام الذي يعتبر بحق ملتقى طرق  
العالم ومعبّر تجاريه ، وممر جيوشه .

يبقى المصدر الثالث : وهو البترول الذي يعتبر عصب الحضارة  
المادية ، والذي بدونه تستحيل كل أدواتها - المصانع الهائلة  
الكبيرة لكافة أنواع الانتاج ، وسائل المواصلات في البر والبحر  
والجو ، أسلحة الحرب سواء في ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب  
أو الغواصة المستترة تحت أطباق الموج - تستحيل كلها قطعا من  
الحديد يعاوها الصدا لا تنبعث منها حركة . . أو حياة . .

وبودي لو وقفت قليلا عند البترول ، فلعل وجوده كحقيقة  
مادية تقررها الاحصائيات والأرقام يصلح ليكون نموذجا للمناقشة  
في أهمية مصادر القوة في بلادنا .

ولقد قرأت أخيرا رسالة طبعتها جامعة شيكاغو عن ظروف  
البترول ، وبودي لو كان لكل فرد من أفراد شعوبنا أن يقرأها  
ويتدبر معانيها ويسرح بفكره في المعنى الكبير الكامن وراء أرقامها  
واحصائياتها (١) .

♦ تقرر هذه الرسالة مثلا أن العمل لاستخراج بترول البلاد  
العربية لا يتكلف كثيرا من المال .

لقد صرفت شركات البترول ٦٠ مليونا من الدولارات في  
كولومبيا ابتداء من سنة ١٩١٦ ولم تعثر على قطرة زيت الا في سنة  
١٩٣٦ .

وصرفت هذه الشركات ٤٤ مليونا من الدولارات في فنزويلا  
ولم تحصل على قطرة من الزيت الا بعد مرور ١٥ سنة .

وصرفت هذه الشركات ٣٩ مليونا من الدولارات في جزر  
الهند الهولندية وأخيرا عثرت على الزيت .

وكالت النتيجة الأخيرة التي قررتها هذه الرسالة في هذا  
الموضوع :

---

(١) انظر كتاب البترول والسياسة العربية من مجموعة « اخترنا لك » .

ان رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى أمريكا  
٧٨ سنتا .

وأن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى أمريكا  
الجنوبية هو ٤٣ سنتا .

وأت رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى البلاد  
العربية هو ١٠ سنتات .

♦ ان عاصمة انتاج البترول فى العالم قد انتقلت من الولايات  
المتحدة التى استنزفت آبارها وارتفع سعر الأرض فيها وزادت أجور  
الأيدي العاملة لأبنائها ، الى المنطقة العربية التى مازالت آبارها بكرا  
والتي مازالت أراضيها الشاسعة بلا ثمن والتي مازالت يدها  
العاملة تقبل ما دون الكفاف .

ولقد ثبت أن نصف الاحتياطي المحقق من البترول فى العالم  
يرقد تحت أرض المنطقة العربية ، والنصف الباقي موزع بين الولايات  
المتحدة وروسيا ومنطقة الكاريبي وغيرها من بلاد العالم .

وثبت أيضا أن متوسط انتساج البئر الواحدة فى اليوم من  
الزيت هو :

١١ برميلا فى الولايات المتحدة .

٢٣٠ برميلا فى فنزويلا .

٤٠٠٠ برميل فى المنطقة العربية .

هل أوضحت مدى أهمية هذا العنصر من عناصر القوة ؟ أرجو  
أن أكون قد وفقت .

واذن فنحن أقوياء ، أقوياء ليس فى علو صوتنا حين نولول ،  
ولا حين نصرخ ، ولا حين نستغيث ، انما أقوياء حين نهذا ، أو حين  
نحسب بالأرقام مدى قدرتنا على العمل ، وفهمنا الحقيقى لقوة الرابطة  
بيننا ، هذه الرابطة التى تجعل من أرضنا منطقة واحدة لا يمكن  
عزل جزء منها عن كلها ، ولا يمكن حماية مكان منها بوصفه جزيرة  
لا تربطها بغيرها رابطة .

هذا عن الدائرة الأولى التي لا مفر من أن ندور عليها وأن نحاول الحركة فيها بكل طاقتنا ، وهي الدائرة المربية .

فاذا اتجهت بعد ذلك الى الدائرة الثانية ، وهي دائرة القارة الافريقية ، قلت دون استفاضة ودون اسهاب : اننا لن نستطيع بحال من الأحوال - حتى لو أردنا - أن نقف بمعزل عن الصراع الدامي المخيف الذي يدور اليوم في أعماق أفريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتي مليون من الافريقيين .

لا نستطيع لسبب هام وبديهي ، هو أننا في أفريقيا (١) .

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع اليها ، نحن الذين نحرس الباب الشمالي للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله . ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا في المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق القارة العذراء .

ويبقى بعد ذلك سبب هام ، هو أن النيل شريان الحياة لوطننا يستمد مائه من قلب القارة .

ويبقى أيضا أن السودان - الشقيق الحبيب - تمتد حدوده الى أعماق أفريقيا ، ويرتبط بصلات الجوار مع المناطق الحساسة في وسطها .

والمؤكد أن أفريقيا الآن مسرح لفوران عجيب مثير ، وأن الرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوروبية يحاول الآن إعادة تقسيم

---

(١) انظر الكتب الآتية من مجموعة « اخترنا لك » :

- زعماء العصابات الاستعمارية .
- افريقيا حلم الاستعمار البريطانى .
- أضواء على الحبشة .
- شمال افريقية في الماضي والحاضر والمستقبل .
- جنوب افريقيا جنة البيض وجحيم الملونين .

خريطتها ، ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نقف أمام الذى يجرى فى أفريقيا ونتصور أنه لا يمسن ولا يعيننا .

ولسوف أظل أحلم باليوم الذى أجد فيه القاهرة معهدا ضخما لأفريقيا يسعى لكشف نواحي القارة أمام عيوننا ويخلق فى عقولنا وعيا أفريقيا مستنيرا ، ويشارك مع كل العاملين من كل أنحاء الأرض على تقدم شعوب القارة ورفاهيتها .

ثم تبقى الدائرة الثالثة . . الدائرة التى تمتد عبر قارات ومحيطات ، والتى قلت انها دائرة اخوان العقيدة الذين يتجهون معنا أينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة ، وتهمس شفاههم الخاشعة بنفس الصلوات .

ولقد ازداد ايماني بمدى الفاعلية الايجابية التى يمكن أن تترتب على تقوية الرباط الاسلامى بين جميع المسلمين أيام ذهبت مع البعثة المصرية الى المملكة العربية لتقديم العزاء فى وفاة عاقلها الراحل الكبير (١) .

ولقد وقفت أمام الكعبة وأحسست بخواطرى تطوف بكل ناحية من العالم وصل اليها الاسلام ، ثم وجدتنى أقول لنفسى .

- يجب أن تتغير نظرنا الى الحج ، لا يجب أن يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة الى دخول الجنة بعد عمر مديد ، أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة .

يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة ، ويجب أن تهرع صحافة العالم الى متابعة أنباءه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صوراً طريفة لقراء الصحف ، وإنما بوصفه مؤتمراً سياسياً دورياً يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأى فيها ، وعلمائها فى كافة أنحاء المعرفة ، وكتابها ، وملوك الصناعة فيها ، وتجارها ، وشبابها ، ليضعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى خطوطاً عريضة

(١) توفى الملك عبد العزيز آل سعود ، فى شهر ربيع الاول سنة ١٣٧٤ -  
( نوفمبر سنة ١٩٥٣ ) .



لسياسة بلادهم وتعاونها معا ، حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد  
يعد عام .

يجتمعون خاشعين .. ولكن أقوياء ، متجربين من المطاعم ..  
لكن عاملين ، مستضعفين لله .. ولكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم  
حالمين بحياة أخرى .. ولكن مؤمنين ان لهم مكانا تحت الشمس يتعين  
عليهم احتلاله في هذه الحياة ..

وأذكر أننى قلت بعض خواطرى هذه لجلالة الملك سعود ، فقال  
لى الملك :

– ان هذه هى فعلا ، الحكمة الحقيقية فى الحبح .

وفى الحق أنى لا أستطيع أن أتصور للحبح حكمة أخرى .

وحين أسرح بخيالى الى ثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا  
وخمسين مليونا فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما  
وما يقرب من مائة مليون فى الباكستان ، واكثر من مائة مليون فى  
منطقة الشرق الأوسط ، وأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفيتى ،  
وملايين غيرهم فى أرجاء الارض المتباعدة – حين أسرح بخيالى الى  
هذه المثات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج باحساس  
كبير بالامكانيات الهائلة التى يمكن ان يحققها تعاون بين هؤلاء  
المسلمين جميعا ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية  
بالطبع ، ولكنه يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة .

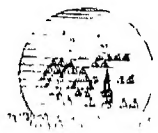
ثم أعود الى الدور الثائى الذى يبحث عن بطل يقوم به .

ذلك هو الدور ، وتلك هى ملامحه وهذا هو مسرحه .

ونحن وحدنا بحكم « المكان » نستطيع القيام به .







General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
Alexandria, Egypt



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عتيق - روضه الفرج

٤١٠١٢ / ٤٠٧٥٣ } للمقون  
٤٠٨١٤ / ٤٠٥٨٨ }





# مطابع الأيراقومستة

١٥٧ شارع عبستة - روض الفرج

تلفون { ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢  
٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨ }